



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



موقف مالك بن نبي من قضايا عصره الاستشراق والغزو الفكري - أنموذجا -

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: دعوة وإعلام

تحت إشراف:

د.علي خضرة

إعداد الطالبتين:

إيمان رويسي

خديجة شيخة مبروك

لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
علي زواري أحمد	محاضر - ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
علي خضرة	محاضر - أ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
نبيل صوالح محمد	محاضر - ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1443 هـ / 2022 م



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



موقف مالك بن نبي من قضايا عصره الاستشراق والغزو الفكري - أنموذجا -

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: دعوة وإعلام

تحت إشراف:
د.علي خضرة

إعداد الطالبتين:
إيمان روبسي
خديجة شيخة مبروك

لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
علي زواري أحمد	محاضر - ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
علي خضرة	محاضر - أ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
نبيل صوالح محمد	محاضر - ب	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1443 هـ/ 2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾

(سورة فاطر الآية 10)

شكر وتقدير

عملا بقول الأنور سيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام

"أفلا أكون عبدا شكورا" متفق عليه

نحمد ربنا حمدا كثيرا ونثني عليه ونرفع شكرنا إليه، ثمّ لا يسعنا إلا أن نرفع شكرنا إلى الدكتور **علي خضرة** الذي أشرف على هذا البحث وتعهّده منذ البداية، فأخذ بيدنا في سبيل أن يخرج هذا العمل إلى النور والإرشاد وتوجيهه ومتابعته، فإليه نسدي شكرنا وفائق تقديرنا وامتناننا. إلى كافة أساتذة معهد العلوم الإسلامية المحترمين.

إيمان و خديجة

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما ودام عليهما الصحة والعافية.

إلى روح جدي وجدتي رحمهما الله.

إلى أخواتي وأخي الوحيد وأصدقائي، ومن كانوا برفقتي ومصاحبتي أثناء

الدراسة.

وإلى جميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون.

خديجة

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى كل طالب علم يسعى ليكسب المعرفة وتزويد رصيده المعرفي العلمي والثقافي إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها ... إلى من سهرت الليالي تنير دربي إلى من تشاركني أفراحي وآمالي ... إلى نبع العطف والحنان إلى أجمل ابتسامة في حياتي إلى أروع امرأة عندي في الوجود أُمي الغالية إلى من علمني أنّ الدنيا كفاح ... وسلاحها العلم والمعرفة إلى الذي لم يبخل علي بأي شيء ... إلى من سعى لأجل راحتي ونجاحي إلى أعز رجل في الوجود أبي العزيز إلى الذين ظفرت بهم هدية من الأقدار بإخوة فعرفوا معنى الأخوة إخوتي الأحباء صالح والحبيب إلى أخواتي العزيزات: عائشة، دليلة، هاجرة (رحمها الله)، أمال وزينب. إلى كافة زملاء الدراسة: هندة، نسرين، حميدو، عائشة وأخص بالذكر زميلتي مروة ومسعودة وإلى كافة أفراد عائلتيهما. إلى كل قسم أصول الدين وجميع دفعة الدعوة والإعلام 2022 بجامعة الشهيد حمه لخضر الوادي إلى كل من كان لهم أثر في حياتي وإلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلبي.

إيمان

قائمة الاختصارات (الرموز)

الاختصار	معناه
ص	صفحة
ط	طبعة
لا ط	دون طبعة
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
لا د	دون دار نشر
لا م	دون مكان
لا ك	دون كاتب
هـ	هجري
م	ميلادي

الملخص:

في دراستنا التي تحمل عنوان " موقف مالك بن نبي من قضايا عصره الاستشراق والغزو الفكري - أنموذجا - " كان الهدف منها إبراز وجهة نظر مالك بن نبي من الأفكار الوافدة مثل الاستشراق والغزو الفكري، إذ هو تحدي معاصرة المفكر مالك بن نبي في بلدان عدّة لأفكار وافدة على العالم العربي والإسلامي، والتحدي الأصعب هو تكوينه بلسان فرنسي وتأثره بالأفكار الغربية في النهضة والتطور، كما كان له تحد آخر هو مرحلة الاستعمار واضطراب الأوضاع ما بعد الاستقلال، وما واجهه من محاصرات استعمارية وطرد من بلده مما أدى به للفرار إلى لبنان ومصر، فلم يكن لسانه الفرنسي أو تأثره بالغرب حاجزا لتوضيح ما أتى به الاستشراق والغزو الفكري والإقلاع بالحضارة الإسلامية، ووضع أسس ومرتكزات لبناء الحضارة الإسلامية المنشودة، كما يراها مالك بن نبي.

Abstract

In our study entitled "Malik Bin Nabi from the issues of his time orientalism and intellectual invasion model", the aim was to highlight malik bin Nab's destination from the ideas of the coming, such as orientalism and intellectual invasion, as he is a contemporary thinker Malik Bin Nabi in several countries for ideas coming to the Arab and Islamic world, and the most difficult talk is to form it with a French tongue and influence western ideas in renaissance and development, as it had another challenge is colonialism and post-independence unrest, and what was He was confronted by colonial sieges and expelled from his country, which led him to flee to Lebanon and Egypt, but his French tongue or influenced by the West did not be a barrier to clarify what orientalism, intellectual invasion and take-off of Islamic civilization brought, and to lay the foundations and foundations for the desired Islamic civilization, as Malik ibn Nabi sees it.

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد:

كثير ما كُتِب في الصحف والمجلات وفي الكتب حول الاستشراق وخاصة عن الغزو الفكري وآثاره السيئة، قد بالغ البعض في ذمّ الاستشراق بينما يرى البعض الآخر أنّه جهد علمي لدراسة الشرق فهناك من تتلمذ على يد المستشرقين لأهمّ رأوا المثال في المنهجية والإخلاص وغير ذلك من النعوت المادحة، ما أدى لاتباع

أسلوب الغزو الفكري منهم: نديم البيطار¹، محمد عابد الجابري²، إدوارد سعيد³ بالإضافة إلى المفكر مالك بن نبي رحمة الله عليه والذي يعتبر أبرز مفكر إسلامي قد عني بالاستشراق والغزو الفكري، نظراً لعلاقته بالفكر العربي والغربي بحث اهتم بالاستشراق والغزو الفكري موضوعاً ومنهجاً، فإنّه لم يعتن بهما كفكرة بل أراد أن يدرس العامل النفسي لحملة فكرة الاستشراق والغزو الفكري وهم المستشرقون.

¹ نديم البيطار (1924-25 أغسطس 2014) مفكر قومي عربي لبناني يعتبر رائد العلمية في الفكر القومي العربي "أثرى المكتبة العربية بطائفة من كبريات الكتب التي عالج فيها القومية بطريقة معمقة تعتمد العقل مرشداً والعلم دليلاً ورائداً.
² محمد عابد الجابري (27 ديسمبر 1935 بفيك، الجهة الشرقية- 3 ماي 2010 في الدار البيضاء)، مفكر وفيلسوف مغربي، له 30 مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها "نقد العقل العربي" الذي تمّت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية، كرمته ليونسكو لكنه "أحد أكبر المتخصصين في ابن رشد، إضافة إلى تميّزه بطريقة خاصة في الحوار.
³ إدوارد وديع سعيد *Edward W. Said* (1 نوفمبر 1935 القدس 25 - سبتمبر 2003 نيويورك)، مُنظر أدبي فلسطيني-أمريكي، يعدّ أحد أهمّ المثقفين الفلسطينيين وحتى العرب في القرن العشرين سواءً من حيث عمق تأثيره أو من حيث تنوع نشاطاته، بل ثمة من يعتبره واحداً من أهمّ عشرة مفكرين تأثيراً في القرن العشرين. كان أستاذاً جامعياً للنقد الأدبي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك ومن الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الاستعمارية (ما بعد الكولونيالية) ومدافعاً عن حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني، وقد وصفه روبرت فيسك بأنه أكثر صوتٍ فعّالٍ في الدفاع عن القضية الفلسطينية.

أولاً: إشكالية الدراسة

على ضوء ما سبق عرضه وتناوله فإنَّ الإشكالية الكبرى التي سوف نعالجها نقوم بصياغتها في السؤال الجوهرى:

ما موقف مالك بن نبي من الاستشراق والغزو الفكرى؟

■ الأسئلة الفرعية:

في محاولة منا للإجابة على الإشكالية الكبرى استوقفنا الأسئلة التالية:

- ماذا نعني بالاستشراق والغزو الفكرى؟
- ما هي أهداف الاستشراق وما هي مجالاته؟
- ما هي مظاهر الغزو الفكرى وما هي أهداف؟

ثانياً: منهج الدراسة

إنَّ المنهج المستخدم في البحث يؤدي إلى نتائج موضوعية يمكن تعميمها لدراسة ومعالجة الموضوع بطريقة جيّدة، اعتمدنا في دراستنا هذه على عدّة مناهج مختلفة منها:

- ففي الجانب النظرى اعتمدنا على المنهج التاريخى الوصفى في البداية الذى يفيد فيما يتعلّق بإبراز نشأة شخصية المفكّر بن نبي من خلال سرد حقائقها وأحداثها عبر التاريخ.
- أما الجانب التطبيقى اعتمدنا على المنهج التحليلى من خلال تحليل أفكار مالك بن نبي.

ثالثاً: أهداف الدراسة

تكمن أهم أهداف دراستنا في النقاط التالية:

- التعرف على شخصية مالك بن نبي.
- إبراز موقف مالك بن نبي من الاستشراق والغزو الفكرى.

رابعاً: أهمية الدراسة

- بدت لنا أهمية الدراسة من خلال ارتكازها على الجوانب التالية:
- كشف جانب من الجوانب التي ميّزت المفكر مالك بن نبي.
- توضيح ظاهرة الاستشراق والغزو الفكري وموقف مالك بن نبي منهما.

خامساً: مبررات اختيار الموضوع

• المبررات الموضوعية:

- اهتمام العالم الإسلامي حول موضوع الاستشراق والغزو الفكري وإبراز جوانبها.
- تعلق الموضوع (الاستشراق والغزو الفكري) بتخصصنا دعوة والإعلام وذلك بالدعوة إلى معرفة أساليبهم.
- رغبة منا في معرفة الاستشراق ومدى تأثير الغزو الفكري على العالم الإسلامي.
- مفكر جزائري.

• المبررات الذاتية:

- روح الفضول التي نمتلكها وتحفيزات المشرف لتناول هذا الموضوع المشوّق.

سادساً: الدراسات السابقة

فيما يخصّ الدراسات السابقة فيمكن ذكر الدراسات التي يتمّ توظيفها في إطار دراستنا:

- 1: حسن موسى محمد العقبي: مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بالجامعة الإسلامية، غزة، 2005م.

سعت الدراسة لإبراز جانب آخر من فكر مالك بن نبي وهو:

- مناقشة للفكر الماركسي الشيوعي بموضوعية وعقلانية كبيرة، وأثبت فساد هذا الفكر في الوقت الذي انبهر به الكثير من المفكرين.
- محاربة ابن نبي للاستعمار الفكري، وكتب في ذلك عدّة كتابات.

2: حميدة هجيرة: موقف مالك بن نبي من الاستشراق مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب والحضارة، كلية الأدب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها 2016/2015. سعت الدراسة إلى تسليط الضوء حول الاستشراق وإبراز موقف المفكر مالك بن نبي وما مدى تأثير وتنوع مجالات وأهداف الاستشراق، ومن أهم النقاط التي تتم استخلاصها في نهاية الدراسة هي:

- الاستشراق ظاهرة ثقافية في أعقاب ذلك الصدام العنيف بين الحضارتين المختلفتين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية.
- يعتبر هدف الاستشراق في بدايته هدف ديني محض، وكان سبب الخطر في شعور النصارى نتيجة الانتشار السريع والواسع للإسلام.

3: عبو إبراهيم الاستشراق، رسالة ماستر، تاريخ الدولة العثمانية (1453 هـ/ 1924م)، 2020/2019.

- سعت الدراسة إلى البحث حول الدراسات الاستشراقية، ووصلت إليه وهي:
- إبراز هدف الاستشراق في التشكيك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهذا امتدادا منذ الرسالة المحمدية.
- اهتمام الدول الأوروبية بالغزو الثقافي لأنه بناء استيطاني داخل العقول والأفكار بل هو أخطر من زرع الألغام التي تشوهه بل هو تشويه للأمم والشعوب.

سابعاً: الخطوات الإجرائية

- وقد اتبعنا في دراستنا مجموعة من النقاط المنهجية في إتمام فقرات الدراسة والتي منها:
- قد اعتمدنا في كتابة الآيات القرآنية على مصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود اسم السورة ورقمها بعد ذكر الآية.
- قد اعتمدنا في التهميش الخطوات التالية: المكان: المطبعة أو الناشر، التاريخ، الصفحة ورقمها، كما اعتمدنا على بعض الكتب ذات أجزاء.
- بعض المعلومات الخاصة بالمراجع قد تكون غير موجودة فقد وضعنا اختصار ورموز.

- قد عضدنا المذكورة ببعض الملاحق تتضمن ذكريات ومواقف من حياه المفكر مالك بن نبي.

ثامنا: صعوبات البحث

لا شك أنّ محاولة البحث في مثل موضوع الاستشراق والغزو الفكري في فكر مالك بن نبي من قبل باحثين مبتدئين لا تخلو من الصعوبات، ويمكن حصرها فيما يلي:

- صعوبة منهجية الكتابة عند مالك بن نبي، إذ ميّزت جلّ كتاباته بأسلوب صعب ويغلب عليه الغموض والإبهام مما استلزم القراءة المتعدّدة لفهم ما وراء السطور وما يهدف له الكاتب.

- سعة المواضيع التي أثارها المفكر مالك بن نبي في مختلف الميادين مما زاد من تشابك وتعقّد المعلومات والقضايا في كثير من مؤلفاته.

أما فيما يخص البناء الهيكلي لموضوعنا فقد قسّمنا البحث إلى ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة.

فالمبحث الأول المعنون بالسيرة الذاتية لمالك بن نبي ويندرج ضمنه ستة مطالب المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته وتعليمه، والمطلب الثان يتضمّن تكوينه الفكري المطلب الثالث: رحلاته وحواراته ثم المطلب الرابع أعماله ومؤلفاته، والمطلب الخامس: وفاته، والمطلب السادس: مالك بن نبي في عيون غيره.

أما المبحث الثاني المعنون بمالك بن نبي والاستشراق ويندرج ضمنه سبعة مطالب فالمطلب الأول تطرقنا إلى تعريف الاستشراق لغة واصطلاحاً، ثم المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق وتطوّره والمطلب الثالث: دوافع الاستشراق، والمطلب الرابع: أهداف الاستشراق ووسائله، والمطلب الخامس: أصناف المستشرقين، والمطلب السادس: الاستشراق عند مالك بن نبي ومجالاته، والمطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الاستشراق، ثم المبحث الثالث المعنون بمالك بن نبي والغزو الفكري، ويندرج ضمنه سبعة مطالب، فالمطلب الأول: تعريف الغزو الفكري وأهمية دراسته، والمطلب الثاني: نشأة الغزو الفكري، والمطلب الثالث: أسباب

الغزو الفكريين والمطلب الرابع: مظاهر الغزو الفكري، والمطلب الخامس: أنواع الغزو الفكري وأهدافه، والمطلب السادس: أساليب الغزو الفكري، والمطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الغزو الفكري.

وفي الأخير خاتمة الدراسة تضمّنت النتائج التي توصلنا إليها، وكما قمنا بتقديم بعض التوصيات وختمناه بأفاق الدراسة من أجل التوسّع والبحث أكثر في هذا الموضوع بشكل جدّي وحيوي.

المبحث الأول:

السيرة الذاتية لمالك بن نبي

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: تكوينه الفكري.

المطلب الثالث: رحلاته وحواراته.

المطلب الرابع: أعماله ومؤلفاته.

المطلب الخامس: وفاته.

المطلب السادس: مالك بن نبي في عيون غيره.

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمالك بن نبي

سوف نتطرق في هذا المبحث إلى مولد ونشأة مالك بن نبي وإلى تكوينه الفكري بالإضافة إلى رحلاته ومناقشاته، وكذلك سنتطرق في نهاية المبحث إلى ذكر مجموعة من مؤلفاته وتاريخ وفاته وإلى ذكر أقوال الدارسين لمالك بن نبي.

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته

الفرع الأول: اسمه ومولده

مالك بن عمر بن لحضير بن مصطفى بن نبي¹، وأمه زهيرة بن عيسى²، وهو أحد أعلام العرب المتخصصين في الفكر الإسلامي³، ومن المساهمين في الجانب التربوي والإصلاحي في المجتمع العربي⁴، اشتهر باسم مالك بن نبي ولُقب (بالصديق) "خوجه" لدى الإدارة المحلية بمدينة تبسة⁵.

وولد مالك بن نبي في الخامس من ذي القعدة عام (1323 هـ)، الموافق إلى الفاتح من كانون الثاني (يناير) (1905م) في مدينة قسنطينة، إحدى المدن الكبرى شرقي الجزائر⁶

¹ حميدة هجيرة، موقف مالك بن نبي من الاستشراق، رسالة ماستر في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأدب والفنون جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغام، 2016/2015، ص 2.

² عطوي ياسين، المفكر مالك بن نبي حياته وأعماله 1973/1905م، رسالة ماستر في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، (1436-1437 هـ / 2015-2016 م)، ص 2.

³ إحسان العقلة، بحث عن مالك بن نبي، تاريخ التصفح 15 جانفي 2022، الساعة 8:00 صباحا www.mawdoe3.com.

⁴ بوغزة صالح، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية وحدة بحث "تنمية الموارد البشرية"، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، ص 4.

⁵ حميدة هجيرة، موقف مالك بن نبي من الاستشراق، مرجع سابق، ص 2.

⁶ بقوق فضيلة، إشكالية التغيير عند مالك بن نبي، رسالة ماستر في تاريخ الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016/2015م، ص 1.

فقد كان مولده في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد اعتبر مالك بن نبي نفسه شاهداً على القرن خلال مولده في تلك الفترة وقد عبّر عن هذا حيث قال¹:

"كان مولدي في الجزائر عام 1905² أي في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر ما بقي حيا من الشهود والأطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده هكذا إذا فقد استفدت بامتياز لا غنى عنه لشاهد حينما ولدت في تلك الفترة³، حيث اعتبر نفسه محظوظاً لأنه شاهد لذلك سمي مذكراته بمذكرات شاهد القرن"⁴.

الفرع الثاني: نشأته وتعليمه

لقد نشأ مالك بن نبي في أسرة متدينة لها اطلاع على مجريات الأحداث متأثراً بالواقع الأليم الذي أصاب الجزائر، فقد حدثته جدته عن هجرة أمها مع والدها إلى تونس يوم دخول المستعمرين الفرنسيين وذلك خوفاً على الأعراض التي كانت تنتهكها الجيوش الفرنسية الغازية وحدثته كيف هاجر جدّه لأمه من الجزائر إلى طرابلس الغرب ضمن تلك المدن الجزائرية الكبيرة مثل قسنطينة وتلمسان، والتي كانت حوالي عام 1908، وذلك للتعبير عن رفض المساكنة مع المستعمر.⁵

وكان هناك تأثيراً دينياً آخر في أسرته وهو صلتها بالحركة الإصلاحية والصوفية الموجودة آنذاك ومن ثمّ أرادت الأسرة منه أن يتربى تربية دينية فأرسلت به إلى الكتاب مع فقر الأسرة ويروي مالك أنّه في يوم من الأيام اضطرت والدته عندما وجب تسديد ما يستحق شهرياً إلى

¹ فرج فضيلة، الاستعمار والثورة في فكر مالك بن نبي، رسالة ماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2019/2018، ص 17.

² مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط1، دمشق، دار الفكر، القسم الأول (1969 م)، القسم الثاني (1970 م) ص 15.

³ مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 15.

⁴ فرج فضيلة، المرجع نفسه، ص 17.

⁵ حسن موسى محمد العقبي، قدمت هذه الرسالة كمطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، 1426 هـ / 2005، ص 28.

الكتاب الذي انتظم¹ في حلقة أن ترهن في مقابل أجرته سريها²، حيث يقول مالك ابن نبي في كتابه مذكرات شاهد القرن: "ولا أزل أذكر كيف أئما اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريها الخاص وأذكر أنه كان مصنوعاً من عدّة ألواح من الخشب رفعت على صقالتين، وكان هذا يسمى في الجزائر آنذاك (السدّة)"³.

يقول مالك عن نشاطه الديني "كنت أتردد على المسجد وأقوم بتأدية الصلاة منذ الصغر، وكنت في يوم الجمعة ألبس زياً خاصاً⁴، وفي المساء كان الناس يتجمعون في المقاهي الجزائرية يستمعون إلى القصاصيين يروون حكايات ألف ليلة وليلة أو سيرة بني هلال، أما من كانوا يفضلون البقاء في المسجد بعد صلاة العشاء فكانوا يستمعون إلى ما يلقي الإمام من دروس، وبهذا كانت تبسة عبارة عن مركز ثقافي تلتقي فيه عناصر الماضي بطلائع المستقبل وبالطبع فإنّ مداركي كانت تنمو متأثرة بمهاذين التيارين"⁵.

وكان يستمد مصادر تكوينه الفكري فيها من الأماكن التي يذهب إليها في تلك المدينة كالأسرة المسجد والمدرسة وبيئة المدينة بما تحويه من عادات وتقاليد شعبية ونحو ذلك.

أ/ الأسرة: كان لأسرة مالك أثر ملموس في تحديد اتجاهه الفكري الذي عُرف به فقد كانت أسرة محافظة تتسم بعاطفة إسلامية واعية، وكان تأثير والديه من جانبين⁶.

ب/ الجانب الإيماني: يقول مالك بن نبي في إهداء كتابه الظاهرة القرآنية⁷ "إلى روح أمي إلى أبي: الوالدين اللذين قدّما لي في المههد أئمن الهدايا: هدية الإيمان"⁸، فقد حرص على

¹ حسن موسى محمد العقبي، مرجع سابق، ص 29.

² المرجع نفسه.

³ مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 19.

⁴ حسن موسى محمد العقبي، رسالة كمطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق ص 28.

⁵ مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص 28.

⁶ عبد الله العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، مالك بن نبي حياته وفكره، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر 2012 م، ص 143.

⁷ مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ط4، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1987م، ص 17.

⁸ عبد الله العويسي، المرجع نفسه، ص 143.

توجيهه الوجهة المستقيمة من طرف الأم التي كانت تتّسم بالحكمة في التربية والتوجيه والأدب الذي قد فرض هيئته واحترامه في المنزل، وكانت طريقته في التربية تأخذ طابع العنف أحيانا حيث يلجأ إلى الضرب لتقويم اعوجاج ابنه.

ج/ جانب التوجيه العلمي: فقد حرصا والديه على تعليمه فألحقاه بالمكتب القرآني ثم بالمدرسة الوحيدة في البلد حينما أتيحت له الفرصة وحرصا فيما بعد على أن يدفعه به إلى الطريق العلمي فأرسله إلى قسنطينة ومن بعد إلى فرنسا. وإلى جانب تأثير والديه كانت جدّته لأمه تصبّ تأثيرها في نفسه من خلال القصص التي كانت تحكيها للأطفال ومنهم مالك ففي حلقتها تلقي الدروس الأولى في الأخلاق والتميز.¹

المطلب الثاني: تكوينه الفكري

الفرع الأول: الصفات العلمية لمالك بن نبي

إنّ التكوين الفكري للإنسان يمرّ بمراحل ولا شكّ يرتقي من خلالها حتى يصل إلى مرحلة النضج والعطاء، فهو بمثابة البناء ينطلق من القواعد والأسس ليرتقي إلى الأعلى، ولا سيما إذا توفرت لدى الشخص الاستعدادات الفطرية التي تتيح له السير في طريق بناء الفكر وتطوّره التطور السليم وتيسر له السبل لاكتساب الصفات العلمية التي تجعل صاحبها في عداد المفكرين.

وفعلا كان مالك يحمل استعدادات فطرية أهله لاكتساب الصفات العلمية التي طبعت إنتاجه الفكري فكان بذلك مدرسة من مدارس الفكر الإسلامي المعاصر.

ومن أبرز تلك الصفات التي كان مالك يتّصف بها:

1. **حب القراءة:** ومطالعة جميع ما يقع تحت يده من مادة فكرية.

¹ عبد الله العويسي، مرجع سابق، ص 144.

2. حب المناقشة: وممارستها في مجال الأفكار.¹
3. تأمل الواقع: والتفكير بجل مشكلاته.
4. الرجوع عن الخطأ: والاعتراف بذلك معرفة الصواب.
5. الإسراع في التنفيذ: ما يطرأ على ذهنه من مشروعات فكرية أو علمية.
6. الصبر والمثابرة: والإصرار على الوصول إلى الهدف.
7. الطموح العلمي.²

الفرع الأول: مصادر التكوين الفكري لمالك بن نبي في البيئة الجزائرية

■ الجهة الأولى: تكوينه الفكري في تبسة

ففي تبسة تلقى مالك تكوينه الأول حيث كان يسكن مع والديه أيام طفولته³، الخير والشر فهو يتحدث عن تلك الدروس واثرها في نفسه قائلاً: "فأصبحت طفلاً تبسياً بين أترابي وتعرّفت في هذا الوسط الجديد علي، وفي هذه الأسرة الفقيرة جدا بجدتي لأمي الحاجة زليخة وهكذا دخلت مع أحفادها الآخرين في حلقة دروسها على الخير وهي تصوّر لنا كيف يجد عمل الخير جزاءه وعمل الشر عقابه بقصص وحكايات أخّاذة.

تعلمت من جدتي أنّ الصدقة من (أول) الموضوعات في عناية الإسلام وسيلة الأخلاقية وكانت إحدى قصص جدتي في موضوع الصدقة هي⁴ التي حركتني وأنا في السادسة أو السابعة من العمر في العمل الذي أراه فعلاً أجدي أعتزُّ به في حياتي"⁵.

¹ عبد الله العويسي، مرجع سابق، ص 142.

² المرجع نفسه، ص 143.

³ المرجع نفسه، ص 142.

⁴ المرجع نفسه، ص 144.

⁵ المرجع نفسه، ص 145.

1. **المكتب القرآني:** انتظم مالك في حلقة المكتب القرآني حين عودته إلى تبسة، واستمر يدرس فيه لمدة أربع سنوات إلا أنّ تقدّمه في الدراسة كان ضعيفا جدا حتى أنّه لم يتعلّم في تلك المدة كلها سوى حزب سبح لله.

2. **المدرسة الفرنسية:** وقلا كان التعليم الخاص بالجزائريين فرنسا مئة بالمئة في المرحلة الابتدائية وفرنسيا 99 بالمئة في المرحلتين الثانوية والعالية.

كان متفوقا في الدراسة يقول في ذلك: "وأجري عليا امتحان من أجل ترتيب صفوف القسم فكنت الأول مستحقا بذلك أن أكتب واجبات ذلك اليوم على الصفحة الأولى مما كان يسمى (كراس القسم) الكراس الذي يتناوله بدوره حسب الترتيب كل تلميذ يوم بعد يوم"¹.

■ الجهة الثانية: تكوينه الفكري في قسنطينة

رحل مالك إلى قسنطينة بعد أن نجح في امتحان المنح ليكمل دراسته هناك، فكان رحيله بداية مرحلة جديدة كان لها أثر كبير في تعيين وجهته، حيث فتحت الآفاق أمامه لمواصلة تكوينه الفكري وكان يشهد تكوينه في تلك البيئة من ثلاثة مصادر:

أ/ **المدرسة وبيئتها:** التحق مالك بدروس تمهيدية في مدرسة الدروس المتّمة لدى "مارتن" وذلك لتهيئته لدخول المدرسة التي يواصل فيها تعليمه كما التحق بدروس الشيخ عبد المجيد في اللغة العربية تمهيدا لما قرّره والده من قبل من أجل تعيينه موظفا في العدل الإسلامي.² وفي المدرسة كان التأثير الفكري من جانين:

1. **الجانب السلفي الإصلاحي:** ممثلا في الشيخ المولود بن موهوب الذي كان ينتهج المنهج السلفي ويحذر الطلاب من الوقوع في البدع والخرافات.

¹ عبد الله العويسي، مرجع سابق، ص 148.

² المرجع نفسه، ص 151.

2. الجانب الديكارتى: ممثلاً في الأساتذة ولا سيما (بوز...) والذي كان له تأثير على مالك بما يشير به على تلامذته من قراءات.¹

ب/القراءة: لا شك في أنّ القراءة عامل مهم له تأثيره الواضح في تكوين الفكر وبنائه واتساع الأفق وعمق النظر والقدرة على التحليل والفهم ولا سيما إذا كانت تلك القراءة فكان يقرأ منذ أن كان في المدرسة الابتدائية وعند انتقاله إلى البيئة الجديدة في قسنطينة كانت الفرصة لديه أوسع في متابعة القراءة وتنوعها فلم يكن في البداية يقرأ في فن معيّن بل كان يقرأ كل شيء يقع تحت يده فكان كثير القراءة والمطالعة.

ويمكن تصنيف أنواع قراءاته على وجه التقريب في أربع مجالات.

1. المجال الأدبي: (الشعر، القصة والرواية).
2. المجال الصحفي: (الصحف والمجلات).
3. مجال الفكر الإسلامي.
4. مجال الفلسفة والعلوم الإنسانية: (التاريخ، النفس والاجتماع).²

الفرع الثاني: مصادر التكوين الفكري في البيئة الفرنسية

استمد مالك مصادر تكوينه الفكري في البيئة الفرنسية من جهتين:

■ الجهة الأولى: الدراسة والتحصيل العلمي

فقد كان قدومه إلى فرنسا من أجل مواصلة دراسته التي انقطع عنها بعد تخرجه من مدرسته الثانوية في قسنطينة، لذا فقد سارع منذ وصوله إلى باريس بالتسجيل في معهد الدراسات الشرقية، فكانت تلك خطوته الأولى نحو التحصيل العلمي في البيئة الجديدة.³

¹ عبد الله العويسي، مرجع سابق، ص 152.

² المرجع نفسه، ص 160.

³ المرجع نفسه، ص 186.

أ/ معهد الدراسات الشرقية:

كان مالك يرغب في التخصص في مجال الحقوق لذا فقد اغتنم فرصة التسجيل في هذا المعهد في الوقت الذي وصل فيه إلى باريس، ولكن ذلك لم يتهيأ له بسبب كونه مسلماً جزائري، ولكنه تلقى درسا في أساليب الاستعمار واختياراته في ما يتعلق بالفوارق الدينية والوطنية.

ب/ دراسة الرياضيات:

لما امتنع على مالك الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية قرّر بناء على رأي أحد أصدقائه التحوّل إلى مدرسة اللاسلكي، وكان الانتساب إلى تلك المدرسة على درجات وتطلّب كل درجة منها مستوى معيّن من الإلمام بالرياضيات، فقرّر الاستعداد لتلك الدراسة خلال الصيف بدراسة ما ينقصه من الرياضيات فكانت تلك بداية معها، وقد أحدثت لديه تغييرا عميقا في النظر والتفكير¹، يقول عنه: "وقفت يوما أمام مكتبة تعرض كتب الأب مورو الذي كان ينشر في تلك الفترة سلسلته الشهيرة لتفهم، كنت أريد أن أفهم كل شيء: الجبر والهندسة، والكهرباء والطبيعة والميكانيك ... وكانت كل هذه المواد فعلا معروضة في سلسلة الأب مورو بطريقة تزيد أو تنقص غمقا، ولكن دائما واضحة مقربة السبيل.

انطلقت ... يحركني إيمان الوارد على دين جديد فكانت هذه الفترة الدراسية بالنسبة إلي بحيث لم تهيئني لدخول مدرسة اللاسلكي، بل غيرت جذريا اتجاهي الفكري إذ إنّها أسكنت في نفس شيطان العلوم ولم يكن الأب مورو قد فتح أمامي باب مدرسة معينة بل فتح لي باب عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الكم والكيف ويتسم الفرد أول ما يتسم بميزات الضبط والملاحظة.

وكنت بهذا الطريق - أيضا - أدخل الحضارة الغربية من باب آخر بعد أن دخلت من باب (وحدة الشبان المسيحي الباريسيين)².

¹ عبد الله العويسي، مرجع سابق، ص 186.

² المرجع نفسه، ص 187.

ج/ مدرسة اللاسلكي:

قرّر مالك الإنشاء إلى درجة مساعد مهندس في مدرسة اللاسلكي نظرا إلى قصور إمكاناته في الرياضيات وكان انتسابه إلى تلك المدرسة لأنّ باستطاعته الاستعداد لها في فصل الصيف وقد فصل ذلك بدراسته.

وكانت الدراسة ذات جانبين نظري وتطبيقي، لذا فقد سلّمت له الإدارة الأدوات التي تلزمه في الدروس التطبيقية، ولقد كان لذلك أثر يصفه بقوله: "لقد أصبح صندوقي للجهاز التطبيقي صندوق الأحلام، كنت إذا فتحتة على المنضدة وتناولت في أدوات العمل لألم خيوط السلك أو أقطعها، أو أمدّها حسب زوايا معيّنة كنت أعمل هذه الأعمال وأنا أشعر بثورة الطفل البريء الذي وضع في يده جهاز لعب جديد أكثر تعقيدا من ذي قبل".¹

"فبينما تلك الأدوات البسيطة في يدي أشعر بأنّها ليست لمجرد اللعب بل هي دلائل على مقدار تطوّر المجتمع لأنّ المجتمع البدائي آتته اليد والأصبع".²

بالإضافة أيضا إلى:

1. مدرسة الكهرباء والميكانيك.³
2. العلوم التطبيقية.⁴
3. حلقة ابن الساعي.⁵
4. القراءة.⁶
5. الدروس الساعية.⁷

¹ عبد الله العويسي، مرجع سابق، ص 188.

² المرجع نفسه، ص 189.

³ المرجع نفسه، ص 191.

⁴ المرجع نفسه، ص 197.

⁵ المرجع نفسه، ص 198.

⁶ المرجع نفسه، ص 202.

⁷ المرجع نفسه، ص 203.

المطلب الثالث: رحلاته وحواراته

إنّ زيارة مالك بن نبي للعديد من دول العالم أثر على أفكاره وآرائه وتوسيع معرفته لذلك سنبحر مع أهم رحلاته ومعرفة مناقشاته.

الفرع الأول: رحلاته

أولاً: تعليم مالك بن نبي خلال فترة الاستعمار (1905-1930م)

اهتمت الأسرة بالطفل مالك بن نبي فأرسل إلى المدرسة الحكومية (الفرنسية)، وفي الوقت نفسه أرسل إلى المدرسة القديمة لتعلم القرآن، وكان الفارق كبيراً في طرق التعليم بين المدرستين مما أدى إلى نفور الطفل من المدرسة القديمة واستمر في المدرسة الحكومية ولكن هذين الخطين المدرسة الفرنسية والتراث الإسلامي سيستمران معه في الإعدادية وما بعد الإعدادية، ثم انتقل إلى قسنطينة لإكمال الدراسة ما بعد الابتدائية، ومنه قال مالك بن نبي في مذكراته شاهد القرن: "أمّا في قسنطينة فقد أخذت أرى الأشياء من زاوية المجتمع والحضارة واضعاً في هذه الكلمات محتوى عربياً وأوروبياً في آن واحد"¹.

وبعد إكمال الابتدائية حصل على منحة لمتابعة دروسه في مدرسة (سيدي جلي)² وكان رفقة عمّه محمود قدّمه إلى المدير المسيو (مارتان)، فقد نَمّى فيه حب المطالعة وتذوق القراءة بإعارته بعض الكتب بحيث قال: "فالشيخ من جهة ومسيو مارتان المعلم الفرنسي كوّنا في عقلي خطين حدّدا فيما بعلا ميولي الفكرية"، ثمّ انتقل إلى المدرسة أربع سنوات حافلة بالقراءة والمطالعة والتعرّف على بعض مشاكل العالم الإسلامي من خلال الكتب والمجلات التي تصل إلى الجزائر، وأمّا في مقاهي قسنطينة كان الصالون الأدبي يزوّده بالتعرّف على شعراء الجاهلية وشعراء العصر الأموي³، وشعراء العصر العباسي وكذلك شعراء المدرسة الحديثة، كما

¹ محمد العبد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاح (1323-1393 هـ / 1905-1873 م)، ط1 دمشق، دار القلم، (1427 هـ / 2007م)، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 24.

³ المرجع نفسه، ص 25.

قرأ العديد من المؤلفات الفرنسية مثل: (الإسلام بين الحوت والدب) لأوجين يونغ، و(في ظلال الإسلام الدافئة) لإيزابيل إبيرهات، ثم ظهرت الحركة الإصلاحية في الجزائر بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ الإبراهيمي¹ الطيب العقبي، المبارك المليي، ومنه تعرف على تلامذة ابن باديس فقال: "ولقد شعرت بأنني وهؤلاء في اتجاه فكري واحد"².

بعدها تخرج مالك بن نبي من المدرسة قرّر عدم الرجوع لتبسة وصمّم على الذهاب إلى فرنسا مع صديقه للعمل هناك، فباع معطفه لتوفر أجرة القطار للذهاب إلى فرنسا إلى (ليون) وعمل في مصنع اسمنت وتعرّف على بعض الجزائريين هناك فصفة الكرم باقية فيهم، ولم يطيل به الحال ثم قرّر العودة إلى تبسة، وعمل بمحكمة (تبسة) معاونا قضائيا متطوعا فكانت فرصة للتعرف على الريف الجزائري من خلال تنفيذ بعض الأحكام القضائية³، وبعد العمل التطوعي في محكمة تبسة جاءه الجواب من النيابة العامة تعرض عليه العمل في ثلاث محاكم كمعاون قضائي، واختار محكمة (آفلو) منطقة وهران غربي الجزائر، هنا وجلا مالك الجزائر المفقودة الجزائر البكر بعيدا عن الاستعمار، فقد تنبّه مالك بن نبي في آفلو إلى شيء خطير: ماذا لو جاء المستعمر ليحتل الرض؟ فقد دعى الأهالي ونصحهم بجرث الأراضي واستغلالها قبل الاستيلاء عليها من المستعمر الفرنسي، لأنّ هذه لفترة زادت وتيرة الإصلاح ثم انتقل إلى محكمة شلغوم العيد (شاتودان) فهي البلدة مركزا للمستعمرين، فلم ينسجم مالك مع أعضاء المحكمة فاستقال وعاد إلى تبسة، وفي جلسة مع والدته قرّر الذهاب إلى فرنسا لغرض إكمال دراسته وليس للعمل⁴.

¹ محمد العبدّة، مرجع سابق، ص 26.

² المرجع نفسه، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص 29.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 31-32.

ثانيا: تعليمه في فرنسا (1930-1956م)

قبل أن تقيم فرنسا احتفالها بمرور قرن على احتلالها الجزائر عام 1930، قرّر بن نبي السفر إلى فرنسا للدراسة¹، وعندما وصل التحق بوحدة الشباب المسيحيين الفرنسيين الموجودة في باريس، وطلب منه إدراج الدين الذي يعتنقه فلم يكذب، وقد قُبل عضواً في الجمعية المسيحية مع كونه مسلماً، وهذا ساهم في نضج بن نبي الفكري والعاطفي في بيئته الجديدة وقدرته على التحليل الاجتماعي، ومنه تعمّقت تأملاته الفلسفية ورؤاه الفكرية، وفي الحي اللاتيني وجد مالك بن نبي الفرصة للدعوة إلى الوحدة المغاربية²، والعمل الوطني والإصلاحي وكل الشعارات التي تغطي معنى واحداً هو الإسلام، وعلى ضوء تفاعل التوجهات الإسلامية والمواقف السياسية أصبح بن نبي عضواً فاعلاً ووطنياً متحمساً في جمعية الطلاب المغاربة في باريس³، وكان دائم الإحساس بأنه مراقب من طرف السلطات الفرنسية، ومتابعة نشاط جمعية العلماء المسلمين ومهتماً بنشاطاتها التعليمية والثقافية المتزايدة، وفي عام 1931م تزوج فتاة فرنسية مسيحية اعتنقت الإسلام وتسمّت خديجة فكانت مثقفة وذكية، وكان معترفاً بأثرها في نموه الفكري⁴، ثم سُجن بفرنسا فاضطر باللاجئ السياسي إلى مصر التي سافر إليها، وفي مرحلة التقى بالنقابي مصالي الحاج مؤسس حزب نجم شمال إفريقيا وتعاوننا زمناً قصيراً⁵، بحيث نفر مالك بن نبي من سياسته التي تبحث على الزعامة على حسب القضية الوطنية، ورآه ابن نبي انفعالي وعاطفي وتنقصه الموضوعية لذا قطع علاقته به، ومن ثمّ نمت أفكاره واتسع أفاقه ولم تعد تشغله قضايا الجزائر وإفريقيا وحدها بل تعدّتها إلى قضايا الوطن العربي الإسلامي، كما انضم إلى جمعية طلابية أنشأها الديبلوماسي السوري زين الدين جمعية الوحدة العربية⁶، وفي

¹ فوزية بربون، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ط1، دمشق، دار الفكر، 1431 هـ / 2010م ص 112.

² المرجع نفسه، ص 113.

³ المرجع نفسه، ص 114.

⁴ المرجع نفسه، ص 115.

⁵ المرجع نفسه، ص 116.

⁶ المرجع نفسه، ص 117.

الحي اللاتيني تعرّف بن نبي على النخب العربية مثل: الحبيب بورقيبة¹، الهادي نويرة، كما عرف أيضا الشيخ المصري عبد الرحمان تاج، الذي اصبح فيما بعد رئيسا للأزهر. وفي فترة الثلاثينات حينما كان مالك بن نبي يتردّد على وطنه الجزائر لزيارة أسرته تعرّف على العديد من المثقفين والجزائريين داخل البلاد مثل: الشيخ العقبي الذي يرى بأنّه أهلية لقيادة جمعية العلماء المسلمين من بعد عبد الحميد بن باديس²، وعباس فرحات الذي يمثّل آنذاك اتجاه التفرنس والاندماج³، وفي عام 1938م انخرط في تدريس العمال الجزائريين الأميين في مرسيليا وقد شعر بجدوى عمله في طريق التعليم والتوعية، ولكنه أوقفه بعلا مدة وجيزة بدعوى أنّه ليس مؤهل لهذا العمل، فشرع بن نبي أنّه دائم اضطهاد الفرنسيين له لأنهم يخشون نشاطاته ويحاربونها وفي العام نفسه عاد إلى الجزائر وإقامته بتبسة محاولا الانشغال ببعض النشاطات، وفي أيلول/ سبتمبر 1939م صعد الباخرة في طريقه إلى فرنسا، وعند اختفاء شواطئ الجزائر حتى خاطب وطنه قائلا: "أيتها الأرض الجاحدة... تطعمين الغريب وتتركين أبناءك للجوع، لن أعود إليك إذا لم تصبحي حرة"⁴.

إنتاجه الفكري في فرنسا:

بدأ ابن نبي التّأليف بعد الحرب العالمية الثانية، حين نشر بالفرنسية (الظاهرة القرآنية عام 1946م)، وبعدها بعام واحلا نشر روايته الوحيدة (لبيك)، كما نشر (شروط النهضة عام 1948م)، أي عام اندلاع حرب التحرير الجزائرية، في هذا الكتاب حاول بعض الأسس النظرية لإحياء حركة الإصلاح.⁵

عاش بن نبي مع زوجته في فرنسا من عام 1931م إلى عام 1956م واصر فيها مؤلفاته الأربعة الأولى.⁶

¹ فوزية برون، مرجع سابق، ص 118.

² المرجع نفسه، ص 119.

³ المرجع نفسه، ص 120.

⁴ المرجع نفسه، ص 123.

⁵ المرجع نفسه، ص 124.

⁶ المرجع نفسه، ص 125.

ثالثاً: تعليمه في مصر (1956م - 1963م)

وفي عام 1956م قرّر مالك العودة إلى البلاد العربية ومغادرة فرنسا نهائياً، وكان معجبا بفكرة مؤتمر باندونغ التي انعقدت عام 1955 لحل مشكلة العالم الثالث كما كان يعتقد وكتب كتاباً حول هذا الموضوع (الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ) ، وقلا طبعت الحكومة المصرية هذا الكتاب على نفقتها، كما كانت القاهرة مركزاً لبعض قادة الثورة الجزائرية التي اندلعت عام 1954م، بل كان مالك بن نبي يرغب في الالتحاق بجبهة القتال ليتمكن من الكتابة عن تاريخ الثورة الجزائرية، ولكن لم يجد تجاوباً من المسؤولين الجزائريين.¹

تعرف مالك بن نبي في مصر على العالم العربي وتعرف العالم العربي عليه وصار له تلاميذ وأصدقاء، وعلاقات كثيرة وغنية بينه وبين المفكرين والطلبة القادمين إلى القاهرة لطلب العلم فمصر مركز مهم من مراكز الثقافة في العالم العربي خاصة بوجود جامعة الأزهر، وكان مالك بالقاهرة منتدي يرتاده الكثير من الطلبة من داخل مصر وخارجها وعين من قبل الحكومة المصرية مستشار للمؤتمر الإسلامي الذي أطلق عليه فيما بعد (مجمع البحوث الإسلامية)، وفي هذه الفترة من حياته عمل على ترجمة كتبه إلى العربية وقد أبلى الدكتور عبد الصبور شاهين والأستاذ عمر مسقاوي بلاءً حسناً في هذا المجال وفي مصر أتقن مالك بن نبي العربية وبدأ يكتب بها، وصدرت له الكتب التالية مشكلة الثقافة، ميلاد مجتمع، في مهبط المعركة، فكرة كومنولث إسلامي، الصراع الفكري في بلاد المستعمر.²

وبذكر ممن عايشه في القاهرة أنه كان يجب البساطة في عيشه، ولم يكن يهتم بمأكله كثيراً، وكان حسن المعشر، يحترم الضيافة بكل إتقان.

وبقي في مصر يحاضر ويناقش ويؤلف إلى عام 1382 هـ / 1963م بعدها عاد إلى الجزائر وبقي نشيطاً في العمل الفكري.³

¹ محمد العبد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 42.

³ حسن موسى محمد العقبي، مالك بين نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، مرجع سابق، ص 30.

وزار مالك بن نبي بعض القطار العربية منها سوريا ولبنان، وشارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في السعودية والكويت وليبيا.

وفي عام 1972م أدى فريضة الحج، وفي طريق عودته مرّ بدمشق وحاضر فيها في رابطة الحقوقيين، وفي مسجد المرابط والعديد من المحاضرات حول الثقافة والحضارة¹، ومنها: لقاء مفتوح في مسجد صلاح الدين الأيوبي مع جمع من الفتيات في نيسان 1972م الثقافة والأزمة الثقافية، الحقوق والواجبات مع مناقشة وحوار المرأة والرجل أمام واجبات واحدة مع مناقشة وحوار.²

رابعا: تعليمه في الجزائر المستقلة (1963م-1973م)

عندما انتصرت الثورة الجزائرية وتحقق حلم بن نبي في استقلال بلده لم يتحمس للعودة، بل بقي في القاهرة وعاد إلى الجزائر في 1963م، استأنف الكتابة وإلقاء المحاضرات بالفرنسية غالبا، وقام بترجمتها إلى العربية بنفسه ونشرها بعد وفاته عمر مسقاوي³، وفي هذه المرحلة اهتم بن نبي بمناقشة مختلف القضايا التي تتعلق بما أسماه بالفراغ الإيديولوجي أو المفاهيمي، وفي هذا الإطار القى بن نبي ثلاث محاضرات قيّمة حول الثقافة والإيديولوجية والحضارة، جمعها في كتاب بعنوان:

Discours sur la culture, l'idéologie et la civilisation

ترجم إلى العربية بعنوان آفاق جزائرية.

وفي عام 1956م عين بن نبي مديرا للتعليم العالي التابع لوزارة التعليم القومي، وقد جعله هذا المنصب محط اتصال كبار المسؤولين لاستشارته في قضايا التعليم الجامعي ولكن لم تمضي سنتان حتى أعفي من منصبه لأسباب غير معروفة، وقد فتح منزله مرة أخرى لعقد لقاءات فكرية تناقش فيها القضايا الكبرى المتعلقة بالجزائر وبالغرب والمسلمين وبالحضارة الإنسانية إجمالا.

¹ محمد العبد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 44.

² مالك بن نبي، مجالس دمشق، ط1، دار الفكر، 2005م، ص 13.

³ فوزية برون، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، مرجع سابق، ص 135.

وكانت هذه الندوة الأسبوعية قبله يرتادها طلاب الجامعات والشباب المتطلع إلى لون جديلا من المنهجية والتحليل الهادف إلى محور (القابلية للاستعمار) وزرع (الفعالية) لمواجهة المشكلات الفردية والجماعية.¹

وقد سافر مالك بن نبي مع أسرته لأداء فريضة الحج وخلال هذه الرحلة التي دامت سبعة أشهر مرّ بمصر وسوريا ولبنان وليبيا وتونس، يعقد فيها الاتصالات بأصدقائه وتلاميذه وبعد العودة من الرحلة وفي أثناء الشهور الأخير من عمره على الخصوص شعر بن نبي بالغين والجحود والإحباط إذا عملت السلطة الجزائرية على عزله وتجاهله ومضايقته، والسبب راجع إلى حديث مالك بن نبي بين يدي الملك فيصل أثناء استقباله لممثلين عن حجاج عام (1391 هـ/1971م) والذي أشار إلى غياب الحريات في بلده الجزائر.²

الفرع الثاني: حواراته

أولاً: المناقشات باللغة العربية

1/ مناقشات مقهى بن يمينة:

المقهى الكائن بعد خطوات من مكتب الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة يطلق عليه المقهى الفكري؛ حيث يقول مالك بن نبي أنه الحي العام للمدرسين وقبله للمناقشات بحيث تغذيها المناقشات الحادة بين التيار الفكري الباديسي ومن ناحية تيار المدرسة الفكري.

2/ مناقشات الأستاذ حمودة بن الساعي:

كانت المناقشات معه تدور حول محور الإسلام الأمر الذي جعله يستفيد كثيرا من خبرة صديقه (حمودة بن الساسي) لأنه كان واسع الاطلاع قلما يغيب عن أمر في الميدان الذي يعنى به "معهد الدراسات الإسلامية".³

¹ فوزية برون، مرجع سابق، ص 136.

² المرجع نفسه، ص 37.

³ فضيلة برقوق، إشكالية التغيير عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 21.

ثانيا: المناقشات باللغة الفرنسية

1/ مناقشة داخل منظمة (الوحدة المسيحية للشبان البارسيين):

يذكر بن مالك أنه انتسب لهذه المنظمة ولم يكن بالأمر الهين لأنّ في هذه المنظمة الوحدة المسيحية للشبان البارسيين تدور المناقشات حول المقارنة بين الأديان وخاصة الدين الإسلامي والمسيحي.¹

2/ مناقشات مع أسرة يهودية:

وعقد مالك بن نبي بمدرسة اللاسلكي بباريس صداقة مع شاب يهودي وكان يعود إلى بيئته، ويقرّ مالك بن نبي أنّه "أتيح لي خلال تلك الزيارات أن أكوّن فكرة أرب للواقع عن المشكلة اليهودية في العالم".²

المطلب الرابع: أعماله ومؤلفاته

ألّف مالك بن نبي ما يزيد عن عشرين كتابا ما بين سنتي 1946 و 1973 وهي سنة وفاته وتنوّعت عناوين كتبه واختلفت مواضيعها وتوحّدت غايتها.

كانت عناوين كتب مالك بن نبي عبارة عن مواضيع شديدة الصلة بالحضارة وحلول من خلالها طرح الإشكالية الحضارية فتساءل عن شروط النهضة وعن المشاكل الاقتصادية والفكرية والثقافية والاجتماعية، والتي تكون مجتمعة فيما يسمى بالتخلّف الحضاري فكانت عناوين كتبه محاولات للإجابة عن تساؤلاته لكن لكل تساؤل كتابه:

1) الظاهرة القرآنية: هو أول مؤلفات مالك بن نبي أثناء إقامته بفرنسا سنة 1946 م

مباشرة بعلا نهاية الحرب العالمية الثانية، والكتاب عبارة عن نظرية ومنهجية جديدة

عن كيفية قراءة وفهم القرآن.

2) لبيك: صدر سنة 1947 وهو عبارة عن قصة شاعرية.

¹ فضيلة برقوق، مرجع سابق، ص 22.

² المرجع نفسه، 23.

3) شروط النهضة: صدر سنة 1948 ويعلا من أهم مؤلفاته تناول فيه التاريخ

والحضارة وحركتهما، وما يتصل بهما من مركبات كالدين والأخلاق والثقافة.

4) وجهة العالم الإسلامي: وهو أحد أهم كتبه صدر سنة 1954م، سنة قيام الثورة

الجزائرية تناول فوضى العالم الإسلامي وأزماته ومحاولات نهضة، ويعدّ هذا الكتاب

آخر كتبه بفرنسا قبل أن ينتقل إلى مصر للإقامة بها.¹

أهم الكتب التي اصدرها وهو مقيم في مصر هي:

1. الفكرة الإفريقية الآسيوية صدر سنة 1956/.

2. مشكلة الثقافة صدر سنة 1957م.

3. أنقذوا الجزائر سنة 1957م.

4. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة صدر سنة 1958م.

5. البناء الاجتماعي الجديد نشر في بيروت سنة 1958م.

6. فكرة كومونولت إسلامي صدر سنة 1958م.

7. تأملات في البناء الجديد صدر سنة 1960م.

8. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي صدر سنة 1960م.

9. ميلاد مجتمع صدر سنة 1960م.

10. في مهب المعركة صدر سنة 1961م.

لقد أصدر بن نبي عشرة كتب في مدة خمس سنوات وبمعدل كتابين في كل سنة، وفي

مواضيع تتطلّب البحث الجاد والنظر الدقيق والفكر العميق وتعتبر هذه المواضيع بمثابة عصب

¹ إيمان بلميمون، مالك بن نبي أدبيا، رسالة ماستر في اللّغة والأدب العربي، أدب عربي، آداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016/2017، ص 21.

البناء الحضاري في هذه الأجواء الحافلة بالعمل الدؤوب والبحث والتأليف نالت الجزائر استقلالها.¹

وافتك حريتها بعلا كفاح طويل وتضحيات جسام كان ذلك سنة 1962م، بعد هذا الحدث التاريخي قرّر بن نبي العودة إلى أرض الوطن التي طالما حلم بها، وهناك عُيّن مديراً عاماً للتعليم العالي ولم يطل مقامه بهذا المنصب فقدّم استقالته منه سنة 1967م لتفرّغ ويواصل مسيرته الفكرية، وفي هذه الفترة التي قضاها في الجزائر أَلّف الكتب التالية:

1. آفاق جزائرية صدر سنة 1964.
2. مذكرات شاهد القرن الجزء الأول - الطفل - وهو سيرة ذاتية صدر سنة 1965م.
3. أعمال المستشرقين صدر سنة 1967م.
4. الإسلام والديمقراطية صدر سنة 1968م.
5. مذكرات شاهد القرن الجزء الثاني - الطالب - صدر في بيروت سنة 1970م.
6. المسلم في عالم الاقتصاد صدر في بيروت سنة 1972م.
7. دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين صدر ببيروت سنة 1973م.
8. بين الرشاد والتهيه وهو عبارة عن مجموعة من المقالات جمعت وطبعت بعد وفاته سنة 1978م.

مؤلفات مالك بن نبي:

1. النجدة الشعب الجزائري يباد صدر سنة 1376هـ / 1957م في القاهرة.²
2. حديث في البناء الجديد صدر في 1378هـ / 1960م في بيروت.

¹ إيمان بلميمون ، مرجع سابق، ص 22.

² المرجع نفسه، ص 23.

3. الصعوبات علامة النمو في المجتمع العربي، صدر سنة 1379هـ / 1960م في القاهرة.
4. الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال برسائل العلم صدر سنة 1379هـ / 1960م في القاهرة.
5. تأملات في المجتمع العربي صدر سنة 1380هـ / 1961م في القاهرة.
6. خطاب مفتوح لخروتشوف وإيزنهاور.
7. مجالس دمشق.
8. مولد مجتمع إسلامي.
9. مجالس تفكير يسجل بعضها في أثناء مجالسه أو ندواته.
10. مذكرات شاهد القرن (القسم الثالث) مخطوط.
11. العلاقات الاجتماعية وأثر الدسم فيها.
12. نموذج لمنهج باللغة الفرنسية.
13. كتاب حول مشكلة اليهود.
14. العفن وقلا كتبه أواخر حياته في الفرنسية.
15. اليهود أم النصرانية.
16. دراسة حول النصرانية.
17. من أجل التغيير.
18. القضايا الكبرى.
19. معنى المرحلة (1970).¹

¹ إيمان بلميمون ، مرجع سابق، ص 24.

بالإضافة إلى هذه المؤلفات توجد مؤلفات أخرى بعلا طباعتها الأولى لم يعلا نشرها لذلك فهي شبه مفقودة، قلا نتصادف أحيانا بعناوينها، إلا أنّها لا توجد لا في معارض الكتب ولا في المكتبات الجزائرية ومن بين هذه المؤلفات ما يلي:

- الدعوة إلى الإسلام سنة 1947م.
- أنقذوا الجزائر سنة 1957م.
- العولمة سنة 2004م.
- مذكرات شاهد للقرن الجزء الثالث 2006م.
- العفن 2007م.¹

بالإضافة إلى ثلاث مجموعات من المحاضرات: وهي:

1. آفاق جزائرية سنة 1964.
2. خطاب حول البناء الجديد سنة 1960.
3. تأملات في العالم العربي سنة 1961م.²

المطلب الخامس: وفاته

اشتد المرض على مالك بن نبي ولم يسمح له بالخروج من الجزائر إلا بصعوبة رغم أنّ ذويه عبّروا عن رغبتهم في نقله إلى فرنسا منذ شهر جويلية 1973، وفي سبتمبر كان في مستشفى باريس في حالة غيبوبة في أغلب الأوقات، وقد كشف الفحص الطبي عن إصابته بمرض سرطان البروستاتا (prostate métastase) ولقد أجرى عملية، ولما يئس الأطباء من إمكانية تحسن حالته الصحية نصحو عائلته بإعادته إلى وطنه، وتوفي في منزله بتاريخ 31 أكتوبر 1973م، وشُيِّعت جنازته في موكب ضخم باتجاه مقبرة سيدي محمد بيلكور

¹ الرميساء بوزباني، مفهوم الإنسان في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، رسالة ماستر، فلسفة عامة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018/2019، ص 26.

² نور الدين بوكروح، مالك بن نبي 15 وفاته، تاريخ التصفح: 15 فيفري 2022م، الساعة: 10:30 صباحا
www.Aljazairalyoum.DZ

وغداة وفاته لم يرد في الصحافة الوطنية الرسمية حول هذا الحدث إلا فقرة قصيرة ممن بضعة أسطر في أسفل الصفحة.

فكان مالك بن نبي الضحية التي دفعت ثمن وطن جاهل وميَّزته الصراعات الكبرى ومات قلبه يخفق بالخوف عن أعماله ومخطوطاته ودفاتره أكثر من خوفه على حياته، فلقد سجّل في ملاحظة مؤرخة في 1969م قائلاً: "أنا على يقين بأنّ الحقد الحيواني المحيط بي لن يخبو حتى بعلا موتي، إنني اشعر بأنّ السيد (س) سيبحث عن أبسط آثار كتاباتي (خاصة دفاتري التي هو على علم بوجودها)، سيبحث عنها حتى في أحشاء أولادي كي يمحو كل آثار فكري".¹

فإنّ مالك بن نبي لم يكن يسعى لأن يكون مفكراً، يدرس مشكلات مجتمعه وينظر لها بقدر ما كان ساعياً لأن يكون "كاتب قصة" - كما صرّح بذلك لابنه الروحي السيد عمر كامل مستقوي كما كان يناديه - ولكنه أبي أن يكون كذلك، "لأنّه كان صاحب قضية يدافع عنها".²

المطلب السادس: مالك بن نبي في عيون غيره

أولاً: رأي عمار طالبي في مالك بن نبي

تحدث الأستاذ عمار طالبي عن أول لقاء جمعه بالمفكر مالك بن نبي وقال: "أبهرني فكر مالك بن نبي من أول لقاء، حيث وجدته يناقش علمياً حديث الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلاف وما تناكر اختلاف، كنت أستمع للرجل دون أن أخوض في الكلام، وعلمت أنّ الدكتور المبارك كان في زيارة مجاملة لبيت مالك بن نبي، وعندما انتقل إلى بيته في مصر الجديدة، صرت أزوره باستمرار، ثمّ داومت على حضور ندواته الأسبوعية في القاهرة كل يوم

¹ نور الدين بوكروح، مرجع سابق.

² مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ط1، دمشق، دار الفكر، 1430هـ/2009م، ص 21.

جمعة بعد الصلاة، وكان يحضر الندوة قرابة العشرين طالبا وأستاذا من كل بقاع الدنيا من إندونيسيا شرقا إلى المغرب الأقصى".¹

ثانيا: رأي محمود محمد شاكر في مالك بن نبي

يقول محمود محمد شاكر عن المفكر مالك بن نبي: "وهذا المفكر الخبير هو أفضل رجل يكشف لنا عن الظاهرة القابلية للاستعمار التي جعلتنا نحيا حياة كأثما نابعة من أنفسنا ولكنها حياة الرقيق الذين ينقادون كالأنعام وهو يحسون أنهم يحسنون صنعا، وهو الأصل الأصيل في ثقافة الأمم الأصيلة وأمتنا تمتاز بين كل الأمم بهذا الأصل الأصيل المحفوظ على مدى 14 قرنا من الزمان، وهو الذي حفظ عليها ثقافتها رغم ما مرّ بها من توازن وكوارث ونكبات وما تسلّل إليها من آفات وعلل وامراض، ومالك بن نبي رجل راس ثقافة هو الدين...".²

ثالثا: رأي محمد المبارك في مالك بن نبي

يقول محمد المبارك في مقدمة كتاب (وجهة العالم الإسلامي) لمالك بن نبي: "إنّ مالكا يبدو في كتابه هذا وفي مجموع آثاره لا مفكرا كبيرا وصاحب نظرية فلسفية فحسب بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقه، وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره، وإنّ آثاره في الحقيقة تحوي تلك الدفعة المحركة التي يكون لها في بلاد العرب أولا، وفي بلاد الإسلام ثانيا أثرها المنتج وقوتها الدافعة، وقلّ ما استطاع كاتب مفكر أن يجمع كما جمع بين سعة الإصرار والرقعة التي هي موضوع البحث، وعمق النظر والبحث، وقوة الإحساس والشعور - أنا لا أقول إنّه (ابن نبي) ولكن أقول إنّه ينهل من نفحات النبوة، وينابيع الحقيقة الخالدة".³

رابعا: رأي عبد العزيز الخالدي في مالك بن نبي

يقول عبد العزيز الخالدي في كتاب شروط النهضة لمالك بن نبي: "لكي أقوم بتقديم هذه الدراسة أجد بين يدي سيرة عاصفة مؤثرة، ويلفت انتباهنا في كتاب (الظاهرة... طريقته

¹ عمار طالبي، يتحدّث عن صداقة مع مالك بن نبي، تاريخ التصفح: 2022/01/28 م، الساعة: 13:00 مساء
www.darrfkr.com، 28 جانفي 2022.

² محمود محمد شاكر، العلامة محمود محمد شاكر يتحدث عن المفكر مالك بن نبي، تاريخ التصفح: 2022/01/29 م
الساعة: 9:00 صباحا، www.shamela-dz.net.

³ مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ط1، دمشق، دار الفكر، 1986، ص 14.

الجديدة التي طبّقها المؤلف للمرة الأولى على تفسير القرآن، فلقد تأثر المؤلف في كتاب الظاهرة) بمشهد شباب الإسلام الذين استهوتهم المناقشة الخطيرة بين العلم والدين فاستخلص من هذه المناقشات نتائج وثيقة أراد تبليغها للضمان الأخرى.

ولكن دقة النقد وعمق التحليل وصرامة المنطق الذي يقود إلى هذه النتيجة، وبن نبي في الواقع ليس كاتباً محترفاً أو عاملاً في مكتب، مكبا على أشياء خامدة من الورق والكلمات ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الإنسان في صورته الخلقية والاجتماعية ... فأبدى له تقديري الشخصي كأخ لي وأستاذ".¹

خامساً: رأي مصطفى السباعي في مالك بن نبي

يقول مصطفى السباعي: "الأستاذ مالك جزائري الأصل - مجاهد في سبيل القضية الجزائرية بقلمه ولسانه - جهادا يعزى له فضله فيه زعماء حركة التحرير الجزائري منذ نشوئها ... ويتميّز مالك بن نبي في جميع مؤلفاته بعمق التفكير ومنطقيته، وواقعيته وقوة أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها.

وقد استطاع مالك بأسلوبه الذي تفرّد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية، أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير، وبدأ يرى في الأستاذ مالك بن نبي رائده الفكري البعيد النظر القوي الإيمان، المناضل بقلمه في سبيل الله والإسلام".²

سادساً: رأي أنور الجندي في مالك بن نبي

يقول أنور الجندي في كتابه (التفكير والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا): "مالك بن نبي يختلف كثيراً عن الدعاة المفكرين والكتاب، فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب"³ وفكرهم المستمد

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، لا ط، دمشق، دار الفكر، د ت، ص 7.

² عبد القادر بنقدور، حياة مالك بن نبي: نسبه ومولده ونشأته ووفاته، تاريخ التصفح: 2022/01/29، الساعة: 16:00، www.islamanar.com.

³ الثاقب، مالك بن نبي، تاريخ التصفح: 2022/02/02، الساعة: 20:00، www.ahlamontada.com.

من القرآن الكريم والسنة والفلسفة، والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرومان، والمسيحية".

سابعا: رأي محمد العبدّة في مالك بن نبي

يقول محمد العبدّة عن مالك بن نبي: "إذا عُدّ المفكرون من المسلمين في هذا العصر فإنّ مالك بن نبي هو من هذه القلّة الذين ينطبق عليهم هذا الوصف، فالمفكر الذي يدرس ويتأمل ويقارن...."¹.

ثامنا: رأي زكي الميلاد في مالك بن نبي

يقول: "لا يمكن الحديث عن الثقافة في المجتمع العربي وعلى مستوى الفكر الإسلامي من دون التطرّق والاقتراء من مالك بن نبي... الذي شغلته قضية الثقافة، وظلّ مسكونا بها ولم يفارقها الاهتمام طيلة حياته، وإسهاماته في هذا الشأن هي الأكثر حضورا وأهمية على مستوى الدراسات الفكرية الإسلامية"².

تاسعا: رأي عمر كامل مسقاوي في مالك بن نبي

يقول عمر كامل مسقاوي: "التعرّف على فكر مالك بن نبي ... من خلال كتاباته الغنية واللامعة ... أتاحت لي أن أقف على عمق رؤية هذا المفكر الإسلامي الفذ".

عاشرا: رأي نورة خالد السعيد في مالك بن نبي

تقول نورة خالد السعيد: "تظلّ أطروحات المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي موادا أولية للكثير من المفكرين الإسلاميين المعاصرين، ورغم أنّ أغلب أفكاره ورؤاه حول مسائل الحضارة والتغيير الاجتماعي، قد تمّ تناولها من قبل الباحثين...".

¹ مجموعة من كتاب مجلة البيان، ج14، 1409 هـ، ص 21.

² ميلاد زكي، مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي النظرية والمنهج والتطور، تاريخ التصفح: 2022/02/06 م الساعة:

11:15 صباحا، www.ben_nabiblogspot.com.

حادي عشر: رأي عبد الله العقيل في مالك بن نبي

يقول عبد الله العقيل عن مالك: "تتابعت قراءاتي لما صدر بعد ذلك من كتبه المترجمة إلى العربية التي وجدت دورهم ولسنا اجتهدهم، فكان كثير النقد لهم، فهو مستقل الفكر ويمثل مدرسة على حدى".

ثاني عشر: رأي عبد السلام الهراس في مالك بن نبي

يقول عبد السلام الهراس عن ابن نبي: "الأول مرة أرى في حياتي رجلا عنده فكر جديد وجدير بالإنصات والكتابة، ومالك له تأشيرة الدخول إلى قلوب الناس وعقولهم ... فيها نظرة تستوعب مشكلات الحضارة وحل معضلات العصر ..."¹.

ثالث عشر: رأي الطاهر سعود في مالك بن نبي

يقول: "في مرحلة الدراسة والتحصيل العلمي كان لي برنامج مكثف في المطالعة مررت فيه على العديد من المفكرين الإسلاميين والمعاصرين منهم بالذات، وحينما وصلت إلى مالك وجدت أنني أمام مفكر مختلف لا يكاد يشبه أحدا في خطابه ومنهجه ومصطلحاته ومعادلاته من المفكرين الذين مررت عليهم من قبل، كما وجدته مفكرا لا يكرّر نفسه في الآخرين بالطريقة التي نلاحظها بين غيره من المفكرين"².

رابع عشر: رأي أبو القاسم سعد الله في مالك بن نبي

وآخر قول من أقوال الدارسين لفكر مالك بن نبي الشيخ أبو القاسم سعد الله يقول: "يمثل مالك بن نبي مدرسة فكرية مستقلة بين المدارس الفكرية التي عرفتها الجزائر منذ الحرب العالمية الأولى. فلا هو تيار المدرسة الاستعمارية التي نشأ فيها أمثاله وأخذوا علمها ولغتها أي أولئك النخبة الاندماجية أو النخبة الإسلامية التي رضيت بالوظيف بعد التخرج، واكتفت بما تطعمها به الإدارة الفرنسية، ولا هو من تيار المدرسة السياسية التي أنشأها الأمير خالد ثم نجم الشمال الإفريقي صم حزب الشعب، إذ كان ابن نبي كثير النقد لهذه المدرسة ولا سيما أثناء زعامة مصالي الحاج لها، ولم يكن ابن نبي من التيار السياسي الآخر الذي تبناه الدكتور

¹ ياسين عطوي، مرجع سابق، ص 36.

² الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1، بغداد، دار الهادي، (1427هـ/2006م)، ص 5.

ابن جلول وفرحات عباس، لأنّ هؤلاء كانوا في نظره فوقانيين ومنحرفين، ومن ثمّ كان أيضا كثير النقد لهم"¹.

¹ الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 2011.

المبحث الثاني: مالك بن نبي والاستشراق

المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق وتطوره.

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق.

المطلب الرابع: أهداف الاستشراق ووسائله.

المطلب الخامس: أصناف المستشرقين.

المطلب السادس: الاستشراق عند مالك بن نبي ومجالاته.

المطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الاستشراق.

المبحث الثاني: مالك بن نبي والاستشراق

الاستشراق من المصطلحات الهامة والغامضة ، والتي تجذب اهتماما بالغا، ومنه خلال هذا المبحث سنتطرق إلى تعريف الاستشراق وتاريخه وتطوره، هذا ما أدى إلى تقسيم المستشرقين بما يخدم أهدافهم ومصالحهم، ومنه تنوع مجالاته وموقف المفكر مالك بن نبي من الاستشراق.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا

الفرع الأول: الاستشراق في اللغة

مأخوذ من الشرق¹.

جاء في تاج العروس من جواهر القاموس هو مشتق من كلمة الشرق، الشمس حين تشرق ورواه عمرو عن أبيه ورواه ثعلب عن أبي الأعرابي، ويحرك عن أبيه السكيت يقال: طلعت الشرق ولا يقال: غربت الشرق، والشرق: إسفارها والشرق: حين تشرق الشمس يقال: آتيك كل يوم طلعة شرقه نقله ابن السكيت.

والشرق: الشقّ: يقال ما دخل شرق فمي أي شق فمي نقله الزمخشري.

والشرق المشرق كما في الصّحاح، وجمعه إشراق قال كثير عزة: "إذا ضربوا يوما بها الآل زينوا ... مساند أشراق ومغارب"².

أما في معجم اللغة العربية المعاصرة، مشتق من استشراق، مستشرق: استشراقا فهو مستشرق.

استشراق أوروبي، اهتم بالشرق والدراسات الشرقية "مستشرق فرنسي: أديب فرنسي يهتم بدراسة تراث الشرق وحضارته ولغاته" واستشراق مفرد.

¹ سعود بن عبد العزيز الخلف، دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي ﷺ، ج1، لا ط، لا م، فراس للنشر والتوزيع، د ت، ص 143.

² محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، لا ط، لا م، دار الهداية، د ت، ص 493.

1. مصدر استشراق.

2. غاية واهتمام بشؤون الشرق وثقافته ولغاته.

3. أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط نفوذه عليه.¹

كما جاءت كلمة شرق في المصباح المنير في غريب الشرقي الكبير، بمعنى: شرقت الشمس شروقا "من باب قعد وشرق" أيضا طلعت وشرقت بالألف أضاءت ومنهم من يجعلها بمعنى وأشرق دخل في وقت الشروق ومنه قولهم: اشرق ثبير كيما نغير، أي ندفع في العسير.²

الفرع الثاني: الاستشراق في الاصطلاح

لقد تعددت تعريفات الاستشراق Orientalisme بين المفكرين والباحثين نذكر منهم:
1. لقد عرّف البعض الاستشراق بأنه ... ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصوّرات الغربية عن العالم الإسلامي معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما.³

2. ويقول أحمد حسين الزيات، يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأمه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته واساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لصلتها بالعلم، إذ بينهما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منارات بغداد والقاهرة من أضواء المدنية

¹ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، جزء 4، ط1، عالم الكتب، 1429 هـ / 2008م

² أحمد بن محمد بن علي الفيومي، حمودي أبو العباس، ج2، لا ط، المكتبة العلمية، (د.ت)، بيروت، ص 31.

³ عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ط1، لا م، لا د، 1417هـ / 1997م، ص 16.

والعلم كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمّه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية
الجسوم.¹

3. وعرفه أيضا سعود بن عبد العزيز الخلف بأنه: علم يدرس فيه لغات الشرق وتراث
وأديان شعوبها وحضارتهم وتاريخهم وكل ما يتعلّق بهم.²

المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق وتطوره

إنّ المتمعن في تاريخ الاستشراق سيجد أنّ جذوره تمتدّ إلى الصدر الأول من الإسلام
متمثلاً باليهود والنصارى الذين لم يألوا جهداً من أجل محاربة هذا الدين، وذلك بالطعن فيه
والهمز واللمز في أحكامه وتشريعاته واتهام الرسول ﷺ بالمجنون الساحر والشاعر، يقول الله تعالى
: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [سورة الأنبياء 5] ويقول جلّ ذكره
عنهم أيضاً: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ
جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾
[سورة الفرقان 4-5]، وقوله: ﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ [سورة المدثر 24].

وقد اتخذ هؤلاء المشركون سبلاً كثيرة للطعن في هذا الدين لإعراض الناس عنه، فتارة
يجرفون آياته وتارة يكتمون الحق وهم يعلمون، وأخرى يشككون فيه بالطعن في الوحي نفسه
يقول الله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَلَّ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعَلَا مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾³ [سورة البقرة 75].

وكثيراً ما كان يتبع المشركون سبيل الدخول في الإسلام لفترة وجيزة ثمّ الارتداد عنه لبيتين
للناس أنّهم جربوا هذا الدين لأتّه غير نافع وغير صحيح لإخراجهم إلى ظلماتهم وضلالتهم

¹ إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط (1،2،3)، لا م، 1419هـ/1998م، 1419 هـ/1999م
1420هـ/2000م، ص 10.

² سعود بن عبد العزيز الخلف، مرجع سابق، ص 143.

³ فالخ بن محمد فالخ الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، ج1، لا ط، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة
المصحف الشريف، ص 10.

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران 72].

هذه المواقف والأفعال لم تكن ذات ابعاد إنسانية أو إيجاد الخير للناس وإظهار الحق واتباعه، وإنما كانت جميعها منصة ليردوا الناس عن دينهم ويتبعوا دياناتهم المنحرفة. وكل هذه الوسائل وغيرها اتبعتها المشركون للطعن في دين الله، ويتبعها المستشرقون المعاصرون في نشاطاتهم الفكرية والثقافية وهذا يعني حق أنهم امتداد لذلك التيار المعرض والمحارب لدين الله تعالى في بداية بزوغه.

إلا أن نشوء الاستشراق في القرون المتأخرة ليس له تاريخ محدد ومعلوم وإنما بدأ تأسيسه عندما حاول بعض الرهبان الغربيين السفر إلى الأندلس ودرسوا القرآن والكتب العربية وترجموها إلى لغاتهم وذلك بالاستعانة بالعلماء المسلمين في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغيرها.¹

ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي "جربرت" الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، و"بطرس المحترم Pierre Aénéré" (1156 - 1192) و"جيراردي كريمون Gérard de Grémone" (1114 - 1187)، وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم ثم أسست المعاهد للدراسات العربية، أمثال مدرسة "بادوي" العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ واستمرت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون.²

¹ فالخ بن محمد فالخ الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، مرجع سابق، ص 11.

² مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ج1، لا ط، لا م، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص 18.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية، حتى جاء القرن الثامن عشر وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي¹، والاستيلاء على ممتلكاته فجاء بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية ويغيرون على المخططات العربية أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادير المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدا ومازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873 وتتالي عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام.²

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق

أولاً: الدافع الديني

لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لتتعرّف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني؛ فقد بدأ بالرهبان كما راينا واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر - كما سنرى - وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوّهوا محاسنه ويجرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أنّ الإسلام - وقلا كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار، وأنّ المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثّهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثمّ اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر³، وبعد رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند

¹ مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص 18.

² المرجع نفسه، ص 19.

³ المرجع نفسه، ص 20.

الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدّسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا.

وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية، وهم قبل كل شيء رجال الدين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.¹

ثانيا: الدافع الاستعماري

هذا الدافع من أهم الدوافع في مشوار التيار الاستشراقي السياسي للسيطرة على هذا المكنون الإسلامي، وهو الهدف الأسمى لإلغاء كل قوة يظن الغرب أنّها من الممكن أن تؤخر سيرها إلى مطامعها الصليبية أو الاقتصادية، وفي الحقيقة فهذا يشعرك بعظم التحيز الغربي والعقلية العسكرية المتحوّلة من التحريف الكنسي، ومن كونه ديانة سماوية إلى عقلية عسكرية لا تعترف للدعوة إلى هذا الدين المحرف بمطامعه المادية والاستراتيجية إلا بالمطرقة والسندان.

يعترف الاستعمار بخشيته من الإسلام وقوّته وجلالته، وأنّه الوحيد من بين الأديان والمذاهب والأيديولوجيات - كما يعبرون عنه - الذي يستطيع أن يقف في طريق أطماع الغرب وسيطرته على العالم سياسيا وحضاريا ودينيا وفكريا، ومن هنا تبرز لنا غايته وهدفه من الاستشراق وكان لا بدّ للغرب المستعمر من معرفة ما يمكن معرفته من أحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه²، ولذلك كله تلقف الاستعمار هذه الحركة وكان ملوك الدول الاستعمارية رعاها وكان قنصلتهم في بلدان المشرق عمالها.³

¹ مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص 21.

² عبد الرحمن بن عبد العزيز الجفن، الاستشراق النشأة والدوافع، لا ط، لا م، لا ن، د ت، ص 20.

³ المرجع نفسه، ص 21.

ثالثاً: الدافع العلمي

وهذا الدافع قد تمثل في اتجاهين على النحو التالي:

الأول: دافع علمي يقصد به دراسة علوم الشرق الإسلامي في مختلف التخصصات العلمية، ونقلها إلى الغرب لتنهض أوروبا¹ وتتقدم نحو الرقي الحضاري الذي سبقها به المسلمون بمسافات شاسعة إبان ازدهار الحضارة الإسلامية؛ حيث كان الغرب يعيش في ظلام دامس وتحلف حضاري مطبق، ففتح عينه على تقدم المسلمين في العلوم وتفوقهم الحضاري، وسبقهم في شتى الميادين، وخاصة عندما فتح المسلمون الأندلس واقاموا فيها حضارة زاهرة، ومدينة راقية واكبها نهضة علمية خارقة، فحرص على أن ينهل من علوم الشرق الإسلامي، ويقتبس من حضارته لينهض مثل المسلمين، فكان لا بلا من تعلم اللغة العربية، والتلمذ على أيدي علماء المسلمين والرحلة إلى حيث يقيمون، وانكبّ الغربيون على علوم الشرق الإسلامي ينهلون من معينها الصافي ويجمعون المخطوطات الإسلامية إلى اللغات الأوروبية في شتى الميادين وينقلون إلى أهليهم في الغرب يعلمون بنى وطنهم ما أخذوه عن المسلمين من علوم حتى يتفوقوا عليه ويتخلصوا من سيطرتهم إذ اعتقدوا أنهم لن يستطيعوا التغلب على المسلمين إلا بتعلم علومهم ونقل تراثهم.

وقد ظلّ هؤلاء المستشرقون يدرسون وينقلون تلك العلوم على يد العرب والمسلمين محتفظين لأنفسهم بعقائدهم واتجاهاتهم البغيضة نحو الإسلام والمسلمين.²

الثاني: دافع علمي لبعض المستشرقين القصد منه البحث العلمي الخالص³ ودراسة الإسلام وعلومه، يتجرد عن الهوى ونزاهة عن التعصب دراسة تجلّى لهم بعض الحقائق التي خُفيت عنهم.

¹ إسماعيل على محمد، مرجع سابق، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 39.

³ المرجع نفسه، ص 41.

"ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع¹ على الحضارات الأهم واديانها وثقافتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه لأنهم لم يكونوا يتعمّدون الدسّ والتحريف فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين".²

ومن الأمثلة على هذه الفئة المستشرق الألماني: (يوهان ج ريسكه، 1774/1716) الذي كان واحدا من علماء العربية في عصره وأول مستشرق ألماني جدير بالذكر - كما يقول الدكتور زقزوق - وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا ولكن عصره ومعاصريه تجاهلوه، وحاربه رجال اللاهوت متهمينه بالزندقة، ولعل ذلك يرجع إلى موقفه الإيجابي من الإسلام فقد امتدح الدين الإسلامي في كتاب له باللاتينية ورفض وصف النبي ﷺ بالكذب أو التظليل، أو وصف دينه بأنه خرافات مضحكة - كما كان ذلك سائدا حينذاك - كما رفض تقسيم تاريخ العالم إلى التاريخ العالمي وفوق ذلك عبّر عن آرائه بأعظم قدر من الصراحة غير مكترث بكل العواقب المترتبة على ذلك، وقد جرّ عليه ذلك ويلات كثيرة³، عاش طول حياته في ضائقة مالية ومات بائسا مسلولا وهو في الثامن والخمسين من عمره.⁴

رابعا: الدافع التجاري

لا يخفى على عارف بالمجالات السياسية المادية أنّ من أكثر ما يدفع المنتقدين فيها في محاولاتهم السيطرة على بعض المناطق هي الدوافع الاقتصادية، بخلاف الدافع السياسي الإسلامي الساعي إلى إنقاذ الشعوب من عبادة المادة إلى عبادة رب المادة، وقد اتضح هذا جليا من خلال المعارك التاريخية⁵ التي قام بها الصليبيون في العالم الإسلامي، وذلك في تقسيمهم لبلاد المسلمين من حيث الإنتاج المادي، وكيف أنّهم استغلوا كل ما يمكن أن يستفيد

¹ إسماعيل على محمد، مرجع سابق، ص 42.

² المرجع نفسه، ص 36.

³ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، لا ط، القاهرة، دار المعارف، د ت، ص 36.

⁴ المرجع نفسه، ص 37.

⁵ عبد الرحمان بن عبد العزيز الجفن، مرجع سابق، ص 22.

منه الرجل الغربي من هذه الأراضي سواء في الزراعة أو الصناعة أو غيرها حتى ضيقوا على المسلمين معاشهم وأرزاقهم بطريقة أو بأخرى.¹

يقول مصطفى السباعي: "ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كان لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين".²

خامسا: الدافع الاقتصادي

ومن بين دوافع الاستشراق كان هناك الدافع الاقتصادي حيث رغبة الدول الأوروبية في تنشيط تجارتها مع دول الشرق الإسلامي وتسويق منتجاتها، والبحث عن مواد خام لصناعتها فلزم الأمر القيام بالتعرف على الشرق وطبيعته وجغرافية بلاده وعادات شعوبه ومعتقداته وتوظيف هذه المعرفة بالشرق فيما يخدم الهدف الاقتصادي.

كما جاء في تقرير المراجع الأكاديمية المسؤولة في جامعة كمبودج بشأن إنشاء كرسي اللغة العربية فيها، في خطاب مؤرخ في 9 مايو 1636م إلى مؤسسي هذا الكرسي حيث أشار صراحة إلى خدمة هدفين:

اقتصادي يكمن في "تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية".

تبشيري يتمثل في "تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية"³.

سادسا: الدافع السياسي

وهناك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية الإسلامية⁴، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرّف إلى

¹ عبد الرحمان بن عبد العزيز الجفن، مرجع سابق، ص 22.

² مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص 23.

³ إسماعيل علي محمود، مرجع سابق، ص 75.

⁴ مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 23.

أفكارهم، ويبت فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون - ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية - يبتون الدسائس للفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والإسلامية بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم.¹

المطلب الرابع: أهداف الاستشراق ووسائله

الفرع الأول: أهدافه

أولا: أهداف دينية

الهدف الديني للاستشراق كان يسير من البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب ، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي:

أ/ محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية، والانتقاص من قيمة من قيمته والخط من قدر نبيه ... إلخ.

ب/ حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

ج/ تبشير وتنصير المسلمين.²

ثانيا: الهدف العلمي

ما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، فقد رأى زعماء أوروبا "أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى مواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته" وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية لعرفنا حقيقة أهمية هذا الهدف

¹ مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص 24.

² محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 75.

من أهداف الاستشراق فالغربيين لم يتركوا مجالاً¹ كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها وقد أشار رودى بارت Rudi paret في كتابه عن الدراسات العربية الإسلامية - إلى إمكانية أن تقوم الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق علم الاستغراب فإنّ المسلمين في نهضتهم الحاضرة بحاجة إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي.²

1. التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي.³
2. إنكارهم لنبوة الرسول ﷺ وسموية القرآن.⁴
3. التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماءنا المحققون.⁵
4. التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتي.
5. التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي.⁶

ثالثاً: الهدف السياسي والاستعماري

لقد استطاع الاستعمار أن يجنّد طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه في البلاد المستعمرة، كما أنّ الاستعمار عمل على تعزيز موقف الاستشراق، وهكذا نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار وعمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم، وكقناصل وتجسسوا على المسلمين وكان رجال السياسة يرجعون إلى المستشرقين قبل اتخاذ قراراتهم المهمة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية، ومهما يكن من أمر فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة الدليل للاستعمار، لأنّ المعرفة تمنح القوة والمزيد

¹ مازن مطباقي، الاستشراق، لا ط، لا م، لا ن، د ت، ص 19.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ مصطفى السباعي، الاستشراق، مرجع سابق، ص 25.

⁴ المرجع نفسه، ص 27.

⁵ المرجع نفسه، ص 28.

⁶ المرجع نفسه، ص 29.

من القوة يتطلب مزيدا من المعرفة، ومما يؤكد ارتباط الدراسات الاستشراقية بالأهداف السياسية الاحتلالية أنّ الحكومة الأمريكية مؤّلت عدد من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في عديد من الجامعات الأمريكية، ومازالت تمّول بعضها إمّا تمويلا كاملا أو تمويلا جزئيا.¹

رابعا: أهداف تجارية

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد كان الغربيون مهتمون بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار، ومن أجل هذا وجدوا أنّ الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرّف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم.

ولذلك كانت المؤسسات المالية الشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان² يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات المعينة تمنحهم الرعاية والحماية.³

خامسا: الهدف الثقافي

من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية واللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي⁴، ومن أجل تحقيق هذا الهدف فكّر نابليون في استضافة خمسمائة من المشايخ ورؤساء القبائل في مصر ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا من أجل أن يعتادوا على اللغة، والتقاليد الفرنسية، فإذا عادوا إلى مصر نشروا ما اعتادوا عليه فتضم إليهم غيرهم.⁵

¹ سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ص 8.

² محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 77.

³ المرجع نفسه، ص 78.

⁴ سعد آل حميد، المرجع نفسه، ص 9.

⁵ المرجع نفسه، ص 9.

الفرع الثاني: وسائله

تنوّعت وسائل الاستشراق من إقامة ومكتبات ومتاحف إلى إنشاء مطابع ودور نشر وعقلا مؤتمرات وإرسال بعثات ونذكر منها:

أولاً: كراسي اللغات الشرقية

لقد أنشئت في الغرب منذ العصر الوسيط مئات المدارس والمعاهد وكراسي اللغات الشرقية - ولا سيما العربية - وصار عددها يتضاعف مع مرور الزمن، وكان المستشرقون يعملون فيها علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها، وصلاتها بغيرها من اللغات وتأثرها بالتراث الإنساني وأثرها فيه على المنهج العلمي الذي يطبّعه زملاؤهم على لغاتهم.

وفتحت هذه الجامعات أبوابها لطلاب العلم من جميع البلدان، ويسّرت لهم البحث والاحتكاك بكبار المستشرقين، ثم منحتهم الشهادات المتوسطة والعالية ليحتلوا أماكنهم في بلدانهم.

ثانياً: المتاحف الشرقية

تعتبر المتاحف إحدى ثمار الجهود التي قام بها مئات المستشرقين للكشف عن الحضارات الشرقية، وكانت من العوامل المساعدة للمستشرقين على الكتابة العلمية الدقيقة في موضوعات مختلفة مثل ما قام به المستشرق "ليبش" من وصف دقيق لمناسك الحج وما قام به "جويدي" من تحقيق معالم الجزيرة العربية قبل الإسلام، ومجموعة الخطوط العربية من القرن الأول الهجري¹ إلى عام ألف لموريتس، وموسوعة الفنون الإسلامية وهي تضم 13 ألف لوح ورسم لكرزويل إلى غير ذلك.

ثالثاً: المجلات الشرقية

صنفت المجلات والدوريات الشرقية على ثلاثمائة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق تنشر الأبحاث والدراسات بمختلف اللغات على الأسلوب العلمي وتفتح صفحاتها للعلماء الشرقيين

¹ محمد جبر الألفي، وسائل الاستشراق، تاريخ التصفح: 2022/02/28 م، الساعة: 12:30 مساءً

ولكل مجلة نقاد متخصصون بالموضوعات والمؤلفين، والعصور والدول ... إلخ فلا يصدر كتاب إلا ويعطي للقارئ فكرة واضحة عنه.¹

رابعاً: تأليف الكتب والمعاجم والموسوعات

شغل التأليف مكاناً هاماً في نشاط المستشرقين، حيث توجهت أقلامهم للكتابة حول كل شيء يتعلق بالشرق²، لغة وأدبا وعقائد وفنوناً وتراثاً وغير ذلك. ففي مجال تأليف الكتب نذكر أنّ ما يقرب من 60000 كتاب قد ألفت حول الشرق من قبل الغربيين في الفترة ما بين 1900 إلى 1950م.

أما موضوع المعاجم فقد قام به هؤلاء في هذا الجانب قد خدم الباحثين كثيراً في مجالات مختلفة وسدّ فراغاً هائلاً كانت تعاني منه المكتبة العربية. ومن أمثلة ذلك نذكر تاريخ الأدب العربي لـ (كارل بروكلمان)، وتاريخ الأدب العربي لـ (هامر برجتشال) الذي ترجم فيه لـ 9915 أديباً وشاعراً، وهناك معجم فيشك الروسي عمل فيه لمدة 15 سنة وتوفي ولم يكمله.³

المطلب الخامس: أصناف المستشرقين

بما أنّ المستشرقين أناس من النصارى واليهود تعلموا لغة الشرق واللغة العربية، وكتبوا عن الإسلام وعن الأديان فبعضهم يتّصف ويتكلم بالحق، وأغلبهم لا يتّصف ولا يتكلم بالحق وبناء على هذا يمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف:

أولاً: مستشرقون منصفون

كثير من المستشرقين قلا مال إلى الإسلام باعتباره ديناً إلهياً ورسالة سماوية، وإلى محمد ﷺ باعتباره رسولا مرسلًا من قبل الله ونبياً موحى إليه، حين جاءت شهادات الكثير في حق

¹ محمد جبر الألفي، مرجع سابق.

² محمد فتح الله الزبدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ط1، لا م، دار قتيبة (1426 هـ / 1998 م)، ص 51.

³ المرجع نفسه، ص 52.

الإسلام ورسوله بالإنصاف فإننا أثرتنا أن نستعرض بعضا من هؤلاء الذين أنصفوا الإسلام وقد كان منهم:

1. الذين عرفوا الإسلام مع فئة خاصة، فكانوا له منصفين.
2. الذين اتبعوا دين الإسلام عن قناعة فكانوا به مسلمين.
3. وهم الذين عرفوا الإسلام معرفة خاصة من خلال معايشة المسلمين أو من خلال دراسة مصادره وتاريخه، وأبرزوا عواطف الود الصادق اتجاه الإسلام باعتباره دينا والمسلمين باعتبارهم أمة وهي العواطف التي نبعت من أعماق نبيلة وثاروا لما قرؤوا عن العداة المسيحية أو الغربي للإسلام، فحملوا لواء الدفاع عن ملامح حياة المسلمين التي عرفوها بحق.

والملاحظ أنّ كل مستشرق من هذه الطائفة قد اختص بالردّ على آراء المستشرقين الحاقدين على الإسلام، وبيان مواضع خطئهم أو تحاملهم ومن هؤلاء المنصفون¹:

1/ لورا فيشيا فاغلييري:

تعتبر المستشرقة الإيطالية (لورا فاغلييري) من أوائل المستشرقين المتعاطفين ظهورا على مسرح الفكر الاستشراقي المعاصر، وقد درست الإسلام بروح متفتحة وحركتها عواطف الإعجاب الشديد بالأصول والأخلاق السامية وحقيقة النبوة المحمدية، وتبعا لهذا عمدت إلى التأليف عن الإسلام لتوضّح موقفها واختصت في الردّ على جميع الاتهامات الاستشراقية فكتبت مؤلفها الشهير (الدفاع عن الإسلام)، تفسّر فيه نجاحات الإسلام بالظروف المادية المحيطة وراحت تثبت النبوة الحقيقية لمحمد ﷺ.²

¹ ياسر تاج الدين حامد، من المستشرقين المنصفين والمهتدين، تاريخ التصفح: 2022/03/01 م، الساعة: 9:00 صباحا، www.alukah.net.

² لخضر شايب، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، لا ط، لا م، لا ن، د ت، ص 201.

2/ روجيه دوبا سكويه:

يعتبر المستشرق السويسري (روجيه دوبا سكويه) أحسن مثال يعبر عن أقوام تعلقوا بالإسلام، وانفتحوا على ثقافته لإحساسهم العميق بالأزمة المتعددة الجوانب التي يمر بها المجتمع الغربي المعاصر، وفي المقابل يشير إلى أنّ الدين الإسلامي هو عامل توازن ضروري للحضارة الغربية، ودليل ذلك حيّ على إمكانية أن يعيش الإنسان في القرن العشرين دون أن يفقد إيمانه وقد كانت أهدافه الإنقاذية - إن جاز التعبير - واضحة في ذهن هذا المستشرق تماما ولذلك ألف (إظهار الإسلام) الذي كتبه لشرح رسالة الإسلام.¹

ثانيا: مستشرقون مجحفون

وهي فئة من المستشرقين الشيوعيين ورجال الكهنوت التي أساءت إلى الدين الإسلامي والسيرة النبوية المطهرة والحضارة العربية الإسلامية عموما، مدفوعين من الكنيسة بحقد ديني صليبي متجذر، ولكن إساءتهم تتفاوت فهناك إساءات لا يمكن أن نغفلها وهناك أخرى محدودة وفي دائرة ضيقة وأنّ إساءاتهم لإثبات اتهاماتهم الباطلة بتحريف القرآن الكريم حذفوا من كتب المسلمين ما لا يروقهم، وخلطوا آيات القرآن الكريم بالأبيات الشعرية، وفي مقدمة هؤلاء نذكر²:

الأب لامانس (1882هـ / 1937 م)، وديالسي أو ليلي الذي يعتبر من غلاة المستشرقين وهو صاحب كتاب (مختصر تاريخ الدولة الفاطمية).

ثالثا: مستشرقون مجحفون اهدوا

هذه الفئة من المستشرقين وقعت في الخطأ والزلل أساءت إلى التاريخ العربي والحضارة الإسلامية بدون قصد، فهم يأخذون عن الكتابات والأقلام الاستشراقية دون تمحيص أو تدقيق، وذلك بسبب عدم توصلهم إلى أسرار اللغة العربية التي هي ليست لغة المستشرقين

¹ لخضر شايب، مرجع سابق، ص 208.

² عبو إبراهيم، الاستشراق، رسالة ماستر في تاريخ الدولة العثمانية (1453 هـ / 1924 م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2019 / 2020، ص 32.

فهم لم يستطيعوا النفاذ إلى كنفها ولذلك استعصى عليهم الوصول إلى أعماقها وفهم معانيها ويعترف المستشرق "ابرتك" بقوله: "... إن إمكانية معرفة المستشرقين محدودة، وهو ما قد يسبب الوقوع في مواطن الزلل والخطأ".¹

المطلب السادس: الاستشراق عند مالك بن نبي ومجالاته

الفرع الأول: الاستشراق عند مالك بن نبي

قام مالك بن نبي رحمه الله بتحديد مصطلح الاستشراق وذلك من خلال اللجوء للمستشرقين حيث يقول: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية".

ثم قام بعد ذلك بتصنيفهم من خلال أسمائهم أو ما يسمى (طبقات) على صنفين:
أ/ من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل: جريز دوريبياك والقديس توماس الأكويني، وطبقة المحدثين مثل: كاره دوقو وجولد تسهير.

ب/ من حيث الاتجاه العام: نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم، فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها²، ونفهم من تقسيم مالك بن نبي للمستشرقين إلى صنفين، فالصنف الأول من حيث الزمن وقد ذكر فيه طبقتين الأولى القدماء والثانية طبقة المحدثين وذلك لأنه عاش فترة طويلة الزمن في فرنسا ومن خلالها احتك بكثير من المستشرقين وأما بالنسبة للصنف الثاني أطلق عليه بالاتجاه العام، وذلك لأنه يشملهم كلهم وجميعهم عبر العالم سواء كانوا مادحين أو ناقدين.

وقام مالك بن نبي أيضا بتوضيح مدى تأثير كل طبقة وذلك من خلال ما يلي:

¹ عبو إبراهيم، مرجع سابق، ص 33.

² مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، بيروت، 1388 هـ/ 1969م، ص 5.

1/ تأثير الطبقة الأولى:

"إنه لمن الواضح أنّ المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أيما تأثير على أفكارنا، نحن معشر المسلمين إن ما كتبوا كان قطعاً المحور الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوروبا، بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم".¹

كانت نتيجة حركة النهضة في أوروبا مما أثروا المستشرقين القدماء على أفكار الغربيين في اتجاه آخر لبناء حضارة ضخمة تغير مقاييس العالم بالمقابل تجميد النهضة الإسلامية، وتبقي تأثير المستشرقين جاري في تعطيل نهضة العالم الإسلامي.²

2/ تأثير الطبقة الثانية:

وتظهر من حيث الاتجاه العام النافذ للفكر الإسلامي؛ حيث يترك "المنتقدون للحضارة الإسلامية المحدثون حتى لو كان لهم بعض الأثر في تحريك أقلام المفكرين المسلمين، فإنهم لا يدخلون في موضوع بحثنا، لأنّ إنتاجهم على فرض أنّه مسّ ثقافتنا إلى حد ما إلا أنّه لم يحرك ولم يوجّه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا لما في نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائياً لمواجهة تدخّلت فيها عوامل الدفاع الفطرية عن الكيان الثقافي".³

فمالك قد كان مصيباً في ذلك لأنّ كل مواجهة واضحة يفهم منها الطعن في الإسلام ستحرّك أقلام كل المفكرين والكتاب للدفاع عن الإسلام، فهذه حرب ظاهرة وواضحة ومكشوفة وليس فيها خطورة كثيرة.⁴

¹ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مرجع سابق، ص 6.

² بتصرف.

³ المرجع نفسه، ص 6.

⁴ بتصرف.

3/ تأثير الطبقة الثالثة:

من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام، وهي طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، فهو يحذّر منها تحذيراً كبيراً، ويعتبرهم أخطر من الناقدين وسبب ذلك أنّهم يدخلون أفكارهم المسمومة ضمن مديحهم، ويتقبلها المسلمون دون إدراك أو وعي حيث "نجد للمادحين الأثر الملموس الذي يمكننا تصوّره، بقدر ما ندرك أنّه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لردّ الفعل، حيث لم يكن هناك في بادئ الأمر مبرّر للدفاع الذي فقد جدواه، وكأّما أصبح جهازه معطلا لهذا السبب في نفوسنا".¹

يرى مالك أنّ طبقة المادحين لم تقتصر نتائجها على الأثر الحمود بل إنّ لها أثراً سيئاً فالأثر السيء أن يعيش المسلمون في أحلام سعيدة فيدخلون في مواجهة هذه الصدمة ويعانون بسببها أثراً: مواجهة مركب نقص محسوس ومحاولة التغلّب عليه حتى بالوسائل التافهة² ومركب النقص أدّى بالبعض إلى الهروب لطريق التقليد، والبعض يحاول التغلّب على هذا المركب بالاعتزاز التبريري، ويرى أنّهم وجدوا ذلك بالفخر والتمجيد وهو يكره أسلوب المادحين ويرى أنّ المدح لا يشفي المرض عن الأمة الإسلامية يذكر أمجاد الماضي.³

الفرع الثاني: مجالات الاستشراق عند مالك بن نبي

أولاً: المجال الحضاري

نقصد بالمجال الحضاري كل المكونات الاجتماعية والتاريخية والدينية ويتكوّن هذا المكوّن الحضاري حسب المفكر مالك بن نبي: "الجماعة التي تغيّر دائماً خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي يسعى إليه من وراء هذا التغيير".⁴

¹ حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا المعاصرة، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، 1426 هـ / 2005 م، ص 92.

² بتصرف.

³ المرجع نفسه، ص 93.

⁴ مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، ط3، الجزائر، دار الفكر، 1406 هـ / 1986 م، ص 17.

ونفهم من هذا أنّ المجتمع يتشكّل وترتبط بينه روابط مختلفة تجعله يغيّر من نفسه ويجدّد وسائله من أجل الوصول إلى غايته، فالمجتمعات والجماعات لها مميزات وخصائص معيّنة ومميّزة لتحقيق أهدافها، هذا ما يدفعها إلى تجديد وسائل تغيير حديثه تعبّر عن زمنها فعامل تغيير وتطوّر الزمن يجعل المجتمع يغيّر من وسائله وخططه بما يسهّل الوصول إلى أهدافه، فكلمّا كانت الجماعة واعية بما تتبعه من تحوّل تكون الوسيلة خادماً لأهدافها وهذا ما يطوّر من المجتمع رغم مرور الزمن واختلاف الأفكار.

ثانياً: المجال الاقتصادي

يقول مالك بن نبي في كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي "حيث كل الأفواه يجب أن تجد قوتها، وجميع الأيدي يجب أن تعمل".¹

ومنه يرى أنّ المجتمع الإسلامي عليه بالمعرفة الكافية لنقاط قوته، فهي التي تأخذ به إلى أعلى القمم بقواعد ثابتة لا شكّ فيها، فالتخطيط السليم واليد العاملة النشيطة والفعّالة يطوّر ويقوّي مما سوف تنتجه، فهناك طاقات كامنة للعالم الإسلامي ينبغي استغلالها بما ينفع الإسلام والمسلمين، لأنّ ما يكتسبه العالم من موارد طبيعية وبشرية هائلة يمكن لها أن تغيّر حال العالم الإسلامي من حال إلى حال أفضل بصورة ناجحة، لكن الشذوذ التي بين الموارد والكفاءة تجعل بلد المسلم متأخرة في اقتصادها وعلاقتها التي يمكن أن يستفيد منها يتبادل الخبرات والتجارب فتحدد النقاط السلبية واستدراكها يبسط الصعب ويختصر العديد من الأخطاء التي يمكن الاستغناء عنها، لأنّ في البداية تكون الإمكانيات بسيطة ومحدودة فالبعض أخذت بدايتها من الزراعة البدائية والصناعات التقليدية، فالقوى الاقتصادية تبدأ من إطلاق عجلة التخطيط واستغلال الفرص المتاحة وتفجير الطاقات الكامنة.²

¹ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط1، دمشق، دار الفكر، 1988 م، ص 118.

² بتصرف.

ثالثا: المجال السياسي

يقول مالك بن نبي في كتابه مشكلة الأفكار "والواضح في النتيجة أنّ المشكلة التي تطرح نفسها لا تتعلق بطبيعة الثقافة الغربية بل بالطبيعة الخاصة بعلاقتها بها".¹

يشير مالك بن نبي أنّ الأفكار المينة هي مشكلة ما يحمله العالم الإسلامي من تراث اجتماعي وفكري يولد لديه قابلية للاستعمار، ما يعزز الثقافة الغربية وهذا راجع إلى النخبة المسلمة تجعل مصدرها من الأفكار المميتة التي لا حياة لها في وسطها الطبيعي الغريب فكيف ستجد الحياة في غير وسطها، هذا ما يزيد من حجم القصور في الفكر والنظم، فهي جرثومة تواجه عالمنا، واستعارة لمثل هذه الأفكار هو بمثابة خيانة للأفكار ما يجعلها سلبية وضارة.

المطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الاستشراق

يقول مالك بن نبي في كتابه إنتاج المستشرقين: "يجب أولا أن نحدّد المصطلح إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثمّ علينا أن نصنّف أسماءهم في شبه ما يسمى (طبقات) على صنفين أولا: من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جرجير دور بياك والقديس توماس الأكويني وظيفته المحدثين مثل كان دوقو وجولد تسهير، ثانيا: من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتائبهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها".²

يرى المفكر مالك بن نبي مع بروز موجة دراسة الشرق وحب الاطلاع إلى كل ما يميّز من العالم الشرقي في دينه وثقافته وعاداته وتقاليده، واهتمام العلماء والمثقفين بهذا، فما عليه إلا بالتعريف بالمستشرقين وتصنيفهم، فالمستشرقين هو من أخذ بهم شغف الاطلاع ودراسة الإسلام والمسلمين والكتابة عنهم، ومما أدى إلى تصنيف المستشرقين قدماء ومحدثين من ناحية ومن ناحية أخرى اتجاههم العام حول الإسلام، فقد للمستشرقين القدماء الأثر البالغ في تغيير المسار الفكري للعالم الغربي مما أحدث النهضة في أوروبا، فهذه الدراسات الاستشراقية كان لها

¹ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 156.

² مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مرجع سابق، ص 5.

الأثر البالغ في إنقاذ فترة الانحطاط والتخلف التي أصابت أوروبا وزعزع المستشرقين المحدثين الغربية عند انتقادهم الحضارة الإسلامية رغم أنّ ما كتبه عن المسلمين وحقيقة الإسلام، هذا ما يقود بنا للمعرفة أنّ أوروبا درست الفكر الإسلامي، أما ثانيها من جهة عصرية استعمارية مما يخدم أوضاعها ويتمشى معها لفرض سيطرتها، كما أنّ المستشرقين المادحين شعاع نور لمحتوى الحضارة الإسلامية لتوضيح العالم الشرقي.¹

"كما يجب الملاحظة أيضا أنّ العالم الإسلامي أصبح في هذه الملابس يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية، ويعاني بسببها على وجه الخصوص أكثرين: مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية، ومحاولة التغلّب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة".²

ذكر مالك بن نبي أنّ الثقافة الإسلامية في موضع ضعف لتغلّب الثقافة الغربية ما جعل ترسيخ في النفوس الإحساس بالنقص، والمحاولة للمواجهة ولو بأبسط الطرق والوسائل فجيئش الثقافة الإسلامية لا يملكون الأسلحة الكافية لمحاربة الثقافة الغربية، فتكون المعاناة أكبر لأنّ القصف يضرب في صميم الدين، الأخلاق، الثقافة: هذه القواعد التي يمكن أن نبغي بها حضارة خالدة وقوية على مرّ العصور.³

"أنّ الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه، كان شرا على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والإطراء التي حوّلت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهان".⁴

يرى المفكر مالك بن نبي أنّ إنتاج الاستشراق قدّم محتواه على نوعين، ما جعل العالم الإسلامي في صراع حالا مع نفسه بين صورة المديح والإطراء وصورة الدّم والهجاء، ممّا أدى بيتا للعيش بعيدا عن الواقع هذا الغرور أوقعنا في العالم الوهمي إعجابا بماضينا وتراثنا، فنصيب

¹ بتصرف.

² مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دمشق، دار الفكر، 1991، ص 170.

³ بتصرف.

⁴ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 25.

العرب من الاستشراق يكون بالأخذ من الجانب الإيجابي في الاستشراق من صورة الدم والإقلال من شأن الأمة الإسلامية، فالظروف على مرّ الزمان تحاول تغيير الحقيقة الإسلامية فهي غير مستسلمة لتلك الظروف ، هذا يدعو بين الانتفاض للدفاع عن التطرف والتحرّر من عقدة الحرمان في التطوير العقلي والعلمي.¹

"لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانا يستحق كل التقدير لما يتّسم، في بعض أصنافه مثل ما خلفه سيد ييو أو جوستاف لوبون أو نكرانه كشهادة نزيهة من طرف سهولا نعرف قيمتهم كعلماء".²

لم ينكر المفكّر مالك بن نبي فضل المستشرقين وإنتاجهم العلمي والأخلاقي الذي يحمل قيمة كبيرة في شتى العلوم، بل من ناحية أخرى يستحق فائق التقدير، فيرى المفكر بعض آثار المستشرقين الذين ذكرهم مالك بن نبي في مجموعة شخصيات أثى على ثمره علمهم وأخلاقهم فميّز بعضهم فذكر: "أنّ المستشرق سيد ييو والعلامة عنسطاف لوبون بتسمات في إنتاجهما بميزة العلم الخاص والاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية".³

¹ بتصرف.

² مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 42.

³ المرجع نفسه، ص 9.

المبحث الثالث:

مالك بن نبي والغزو الفكري

المطلب الأول: تعريف الغزو الفكري وأهمية دراسته.

المطلب الثاني: نشأة الغزو الفكري.

المطلب الثالث: أسباب الغزو الفكري.

المطلب الرابع: مظاهر الغزو الفكري.

المطلب الخامس: أنواع الغزو الفكري وأهدافه.

المطلب السادس: أساليب الغزو الفكري.

المطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الغزو الفكري.

المبحث الثالث: مالك بن نبي والغزو الفكري

المطلب الأول: تعريف الغزو الفكري وأهميته دراسته

الفرع الأول: تعريف الغزو الفكري لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الغزو الفكري لغة

الغزو الفكري مصطلح مركب من كلمتين هما

1. الغزو: يقال غزاه غزاه غزواً أرادته وطلبه وقصدته كإغتراه والعدو سار إلى قتالهم وانتهابهم غزواً وغزواناً، وغزاة، وهو غاز غزياً وغزى كذلى والغزى بمعنى أسهم جمع وأغزاه حملة عليه كغزاه وأمهلته وأخر ماله عليه من الدين والناقة عُسر لقاحها والمرأة غزا بعلمها ومغزى الكلام مقصده والمغازي مناقب الغزاة وناقاة مغزية زادت على السنة شهراً، في الحمل وغزوى كذا قصدي وغزوانٌ محله بمرأة وجبل بالطائف ورجل وسُموا غازية وغزية كغنية وسمية وسُمي وابن غزوّ وكدلو محدث وربيعة بن الغازي تابعي واغترى بفلان اختص به من بين أصحابه.¹

2. الفكري: والفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول ويقال لي الأمر

فكر نظر وروية ومالي في الأمر مالي في حاجة ولا مبالاة وجمعه أفكار.²

والفكر: بالكسر تردّد القلب بالنظر والتدبّر لطلب المعاني ولي في الأمر فكر أي نظر

وروية، والفكر بالفتح مصدره فكرة في الأمر من باب ضرب وتفكرت فيه.

"ويقال: الفكر ترتيب الأمور في الذهن يتوصّل بها إلى مطلوب يكون علماً

أو ظناً".³

¹ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج4، ط3، مصر، لا ن، 1402 هـ، ص 36.

² إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، لا ط، لا م، دار الدعوة، د ت، ص 698.

³ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، لا ط، بيروت، المكتبة العلمية، د ت، ص 479.

ثانيا: تعريف الغزو الفكري اصطلاحا

عرّف الباحثون الغزو الفكري بعدة تعريفات نختار منها ما يلي:

1. الغزو الفكري: "هو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتّجه وجهة معيّنة".¹
2. الغزو الفكري: "هو أن تتبنى أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية - معتقدات وأفكارا لأمة أخرى من الأمم الكبيرة - وهي غير إسلامية دائما - دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية - في أي قطر من أقطارها والتبديد فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابتها وسنة رسولها وما يترتب على هذا الصربي من ضياع أي ضياع إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي وتضامنها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان".²
3. الغزو الفكري وهو أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية وعاداتها وتقاليدها وما دامت الأخلاق السائد في أمة من الأمم هي المعيار الدقيق الذي تقاس به هذه الأمة، فإنّ هذه الأخلاق يجب أن تكون نابعة من القيم الأصيلة التي تسود الأمة وتحكم سلوكها وتوجّهه، فإذا ما استوردت أمة من الأمم أخلاقها وقيمها من أمة أخرى مسخت بذلك شخصيتها وتنكّرت لأصالتها وعاشت نابعة ذليلة للأمة التي قلّدت أخلاقها وخسرت من مستقبل أجيالها ما يزيدها اقترابا من أصالتها ووجدت نفسها أمام التبعية والضياع.³

¹ بن باز، مجموع فتاوى وحلقات متنوعة، ج3، ط 1، الرياض، دار القاسم، 1420 هـ، ص 438.

² علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، لا ط، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة 1401 هـ/1981 م، ص 8-9.

³ المرجع نفسه، ص 10.

4. "الغزو الفكري هو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها والأمة التي تبطل به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمرا صعبا وإفهامها سبيل الرشد شيئا عسيرا".¹

الفرع الثاني: أهمية دراسته

إنّ معرفة ودراسة الغزو الفكري لها أهمية كبيرة فهي تهدف إلى:

1. إمداد المسلم أو طالب العلم بمعلومات موضوعية تفقه على أساليب ووسائل الأفكار المناوئة والمعادية للإسلام ليكون على وعي بأخطارها، ودراية بطرق معالجتها بأسلوب يتّسم بالحصانة والحكمة وبعد النظر.
2. تبصير المسلم بأنّ أعداء الإسلام تقوم خططهم على اختلاف مذاهبهم على أساس واحد هو الكيد للإسلام، فهم يركزون على تشويه الأصول قبل الفروع، يتصدّون للقرآن الكريم، والرسول محمد ﷺ والسيرة النبوية، ويحاربون اللّغة العربية، ويعملون على إفساد الأخلاق ونشر الرذيلة والفساد بين المجتمعات وفصل المسلمين عن تاريخهم سير الخلف أمتهم الصالح.
3. بيان أنّ اتباع المذاهب والأفكار المعادية للإسلام بسبب الخلاف والنزاع والفرقة بين المسلمين والله تعالى أمر بالاعتصام بكتابه، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران الآية 103]
4. تحذير المسلمين عامة والشباب على وجه الخصوص من الاغترار والانخداع بالأفكار والأساليب التي يروج لها أعداء الإسلام والمسلمين.²

¹ بن باز، الغزو الفكري ووسائله، ج1، ط15، المدينة المنورة، مجلة الجامعة الإسلامية، 1403 هـ، ص 115.

² الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم فمن الغزو الفكري، ج1، ط35، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 1424 هـ ص 343.

المطلب الثاني: نشأة الغزو الفكري

إنّ هذا المصطلح بدأ متأخراً، ربما في النصف الثاني من القرن العشرين، لكن المواجهة بين الإسلام وبين خصومه لم تكن قاصرة على ظهور هذا المصطلح، ولا متوقفة على ظهوره تاريخياً وإتّما تمتدّ هذه المواجهة لترتبط بتاريخ الإسلام كلّه منذ أيام الرسول ﷺ مواجهة الإسلام بحملات تندرج تحت هذا المفهوم "الغزو الفكري"، هذه الحملات تضمّنت أحياناً التشكيك في نبوة الرسول ﷺ والتشكيك في القرآن الكريم، وهل هو وحي سماوي؟ أم هو من عند الرسول ﷺ؟ هل هو إلهي المصدر؟ أو بشري المصدر؟، والتشكيك في السنة النبوية المطهّرة، فكان قضية الغزو الفكري أو المواجهة الفكرية للإسلام لم تقتصر على ظهور المصطلح، وتاريخه مستمر من ظهور الإسلام إلى قيام الساعة¹، ولذا يمكن تقسيم الغزو الفكري بمراحل:

الأولى: مرحلة ما قبل إسقاط الخلافة الإسلامية (منذ نزول الوحي مروراً بالحروب الصليبية ثم الاستشراق ثم التبشير).

الثانية: مرحلة الإجهاز على الخلافة الإسلامية من خلال حزب الاتحاد والترقي بتركيا بقيادة مصطفى كمال أتاتورك ورفاقه وبمساعدة اليهود والإنجليز).

الثالثة: مرحلة ما بعد إسقاط الخلافة الإسلامية (منذ عام 1924 حتى الآن).

ففي القديم بدأوا بالتشكيك في نبوة الرسول ﷺ والقرآن الكريم والسنة النبوية، وفي الجيل الذي حمل إلينا هذه السنة المطهّرة وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وما كان هذا إلا من باب الغزو الفكري حتى يفسدوا على المسلمين معتقداتهم ويورثهم الشك في دينهم، ولكن كان في الأمة رجال ضحدوا شبهاتهم حتى لا يلبسوا على المسلمين أمر دينهم، ولعلّ من الأمور الهامة لتحديد المنطق التاريخي للغزو الفكري هو ظهور تلك الشخصية اليهودية اليمنية التي ظهرت في عهد الخلفاء الراشدين وهو عبد الله بن سبأ، الذي استثمر الخلاف الذي حدث في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب وبدأ يجمع بعض الأكاذيب

¹ لا ك، مفهوم الغزو الفكري ونشأته، تاريخ التصفح: 2022/03/15 م، الساعة: 8:30 صباحاً

والضلالات على الإمام علي بن أبي طالب، وبدأ يصفه بصفة النبوة وأحيانا بصفات الألوهية والتفتّ حوله بعض يهود اليمن¹ الذين تسموا بعد ذلك باسم (الشيعة)، أي شيعة علي رضي الله عنه، وبدأ يلتف حولهم بعض السذج من المسلمين، وبدأ بعد ذلك ظهور فرق أخرى خرجت من تحت عباءة الشيعة بالباطنية والسبئية، وظهرت فرقا لا حصر لها تنخر في عود الأمة وتلقي بالشبهات على أبناء المسلمين، واستمر هذا الغزو الفكري من داخل وخارج الأمة الإسلامية، وكانت الحروب الصليبية (1096 م – 1291 م) هي الأخرى نقطة تاريخية مفصلية في تاريخ الغزو الفكري، واستمرت هذه الحملات لمدة قرنين من الزمان حتى ردّهم الله على يد القائد المغوار صلاح الدين الأيوبي، وأعاد الله على يديه القدس المغتصبة، والله أسأل أن يردها إلى أيدي المسلمين مرة أخرى.²

المطلب الثالث: أسباب الغزو الفكري

- فقدان أبناء الأمة المستضعفة ثقتهم بأنفسهم، وبما لديهم من تاريخ وحضارة وقيم أخلاقية، فالضعيف لا يملك عادة من أمره شيئا فيصير كالعبد في يد السيّد يحركه أينما شاء وكيفما أراد.
- رغبة القوى العظمى في فرض نظام عالمي واحد، وإلغاء التنوع والاختلاف الموجود منذ الأزل بين الحضارات الإنسانية، فهذا يساعد بشكل رئيسي على زيادة الأرباح والثروات، ووضعها في يد فئة محدودة من الناس، ومن أبرز تطبيقات هذا الأمر وأبسطها رؤية اللوحات الإعلانية ذاتها في شرق الأرض وغربها.
- الإحساس بالانتهزامية والعجز المترافقين مع تحجّر العقول وجمودها إلى جانب ضعف الأحوال والأوضاع الاقتصادية في الدول التابعة، كل هذا عطّل عملية

¹ لا ك، تاريخ وأهداف الغزو الفكري والتغريب، تاريخ التصفح: 2022/03/18 م، الساعة، 14:00

.www.ar.islamway.net

² المرجع نفسه.

إنتاج المعرفة لدى الشعوب الضعيفة مما جعلها تستورد أي شيء يقع في طريقها من الأمم الأخرى، ما أدى إلى تراحم كافة أنواع الأفكار والأيدولوجيات رديئة كانت أم حسنة في عقول أبناء هذه الأمم.

■ عجز المفكرين ورجال الدين والعلماء عن تجديد الأفكار العظيمة والتي تعاني من الجمود والتكلس مما يؤدي إلى فقدان مصداقيتهم لدى العامة، ورافق هذا الأمر مع ضعف الخطاب الذي يتصدى لمهمة عرض هذه الأفكار؛ بحيث يقدمها بشكل لا يتناسب مع محتواها الإنساني الرفيع¹، ومما يؤدي في نهاية المطاف إلى تشويهها في عيون أبنائها، وبالتالي دفعهم إلى تركها والبحث عن البدائل التي قد تؤدي إلى كوارث لا تحمد عقباها.²

فمثلا أسباب الغزو الفكري من أمم الغرب للأمة العربية والإسلامية فيمكن تلخيصها

فيما يلي:

- العداء القديم بين أمم الصليب وأمم الإسلام.
- الاحتلال الغربي للمجتمعات العربية والإسلامية.
- التقدم العلي الغربي.
- الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي للمجتمعات.
- تخلف الشعوب العربية والإسلامية عن ركب الحضارة.
- الفراغ العقائدي في المجتمع الإسلامي.³

¹ محمد مروان، أسباب الغزو الفكري، تاريخ التصفح: 2022/03/20 م، الساعة: 10:00 صباحا

.www.mawdoo3.com

² المرجع نفسه.

³ كتاب سطور، اسباب الغزو الفكري، تاريخ التصفح: 2022/03/22 م، الساعة: 16:00، www.sotor.com.

المطلب الرابع: مظاهر الغزو الفكري

اتخذ الغزو الفكري للإسلام والمسلمين في العصر الحديث مظاهر عديدة، واتجهت تياراته في مجاري عمقها صانعوها وزادوا في طولها وعرضها حتى طافت بالعالم الإسلامي حاملة إليه السم في العسل أو الموت فيما يزعمون أنه الدواء. ونستطيع أن نتعرف على تلك المظاهر للغزو الفكري وتياراته في حملات التشويه للإسلام المتمثلة في النقاط التالية¹:

4. حملات التشويه الموجهة ضد الإسلام.²
5. محاولات تشويه القرآن الكريم.³
6. محاولة تشويه السنة النبوية.⁴
7. محاولة تشويه شخص الرسول ﷺ.⁵
8. محاولة تشويه التاريخ الإسلامي.⁶
9. محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية.⁷
10. محاولة تشويه التراث الإسلامي.⁸

¹ علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، لا ط، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة 1401 هـ/1981 م، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 25.

³ المرجع نفسه، ص 27.

⁴ المرجع نفسه، ص 38.

⁵ المرجع نفسه، ص 44.

⁶ المرجع نفسه، ص 51.

⁷ المرجع نفسه، ص 63.

⁸ المرجع نفسه، ص 79.

كما نستطيع أن ندرك مظاهر هذا الغزو في حملات التغريب للحضارة الإسلامية وللمسلمين أنفسهم، كتغريب التعليم والثقافة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتغريب الأخلاق والآداب، ثم تكون قمة التغريب بتغريب اللسان لقطعه عن لغة القرآن اللغة العربية الفصحى.

ولقد قام على نشر الغزو الفكري وترويجه مؤسسات عديدة ومراكز خطيرة منها الصهيونية والتبشير والاستعمار، والمبادئ والنظريات¹ المادية للإسلام مثل التخنت للرجال والترجل للنساء أسلوبا في الحياة

المطلب الخامس: أنواع الغزو الفكري وأهدافه

الفرع الأول: أنواعه

من أشد وأخطر أنواعه وهي كالتالي:

أ/ الغزو النصراني الصليبي:

الغزو النصراني الصليبي اليوم قائم على أشده ومنذ أن انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين الغازين لبلاد المسلمين بالقوة والسلام أدرك النصارى أنّ حربهم هذه وإن حقت انتصارات فهي وقتية لا تدوم، ولذا فكروا في البديل الأنكر وتوصلوا بعد دراسات واجتماعات إلى ما هو أخطر من الحروب العسكرية، وهو أن تقوم الأمم النصرانية فرادى وجماعات بالغزو الفكري لناشئة المسلمين، إلا أنّ الاستيلاء على الفكر والقلب أمكن من الاستيلاء على الأرض فالمسلم الذي لم يلوّث فكره لا يطيق أن يرى الكافر له الأمر والنهي في بلده، ولهذا يعمل لكل قوته على إخراج وإبعاده، ولو دفع في سبيل ذلك حياته وأغلى ثمن لديه، وهذا ما حصل بعد الانتصارات الكبيرة للجيش الصليبيّة الغازية.

أما المسلم الذي تعرّض لذلك الغزو الخبيث، فصار مرض الفكر عديم الإحساس، فإنه لا يرى خطرا في وجود النصارى أو غيرهم في أرضه، بل قد يرى أنّ ذلك من علامات الخير

¹ علي عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص 23.

ومما عين على الرقي والحضارة وقد استغنى النصارى بالغزو الفكري عن الغزو المادي لأنه أقوى وأثبت وأي حاجة لهم في بعض الجيوش، وإنفاق الأموال مع وجود من يقوم بما يريدون من أبناء الإسلام عن قصد أو من غير قصد وبثمن أو بلا ثمن، ولذلك لا يلجؤون إلى محاربة المسلمين علانية بالسلام والقوة إلا في الحالات النادرة الضرورية التي تستدعي العجل، كما حصل في غزوة أوغندة أو الباكستان، أو عندما تدعو الحاجة إليها لتثبيت المنطلقات وإقامة الركائز وإيجاد المؤسسات التي تقوم بالحرب الفكرية الضروس، كما حصل في مصر وسوريا والعراق وغيرها قبل الجلاء.¹

ب/ الغزو الصهيوني:

كذلك، لأنّ اليهود لا يألون جهداً في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها، ولهم مخططات أدركوا بعضها، ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى، وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلام واستولوا على بعض الأرض فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم، ولذلك ينشرون فيهم مبادئ ومذاهب ونحلاً باطلة كالماسونية والقاديانية والبايية والبهاية وغيرها، ويستعينون بالنصارى وغيرهم في تحقيق مآربهم وأغراضهم.²

ج/ الغزو الشيوعي الإلحادي:

اليوم يسري في بلاد الإسلام سريان النار في الهشيم نتيجة للفراغ وضعف الإيمان في الأكثرية، وغلبة الجهل وقلة التربية الصحيحة والسليمة فقد استطاعت الأحزاب الشيوعية في روسيا والصين وغيرها أن تتلقف كل حاقد وموكور من ضعاف الإيمان أو معدومي الإيمان وتعددهم وتمنيهم بأعلى المناصب والمراتب، فإذا ما وقعوا تحت سيطرتها أحكمت أمرها فيهم وأدّبت بعضهم ببعض، وسفكت دماء من عارض أو توقف، حتى أوجدت قطعانا من بني

¹ بن باز، حوار مجلة البحوث الإسلامية حول الغزو الفكري، تاريخ التصفح: 2022/04/01 م، الساعة: 16:00

.www.bin.baz.org.sa.com

² حمود الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، ج1، ط35، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 1424 هـ ص 350.

الإنسان حرباً على أممهم وأهليهم وعذاباً على إخوانهم وبني قومهم، فمزقوا بهم أمة الإسلام وجعلوهم جنوداً للشيطان يعاونهم في ذلك النصارى واليهود بالتهيئة والتوطئة أحياناً وبالمدد والعون أحياناً أخرى، ذلك أنهم وإن اختلفوا فيما بينهم، فإنهم جميعاً يد واحد على المسلمين يرون أنّ الإسلام هو عدوهم اللدود ولذا تراهم متعاونين متكاثفين مع بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين.¹

الفرع الثاني: أهدافه

أولاً: منع روح الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين

وأعني به الحيلولة دون تصدير مبادئ الإسلام الحق إلى الخارج، وذلك لأنّ الإسلام هو الدين البسيط في مثاليته وفي واقعيته وهو الذي يتفق والفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران: 19]

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [سورة البقرة: 138]

ومن هنا شرع النفوس في الاستجابة إليه متى خلى بينها وبينه ..، والإسلام من ناحية ثانية هو الدين المثالي الذي حرّر الإنسان حقاً وصدقاً من كل الضغوط التي تلغي شخصيته وتهدر وجوده وكرامته كإنسان، وتسمح له بل وتطالبه أن يتعامل مع الآخرين مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية معاملة الند بالند، أو معاملة الأخ مع أخيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: 13].²

والإسلام هو الدين الأعظم والأكمل الذي يستطيع أن يجتاز بالإنسان مرحلة التناقض بين الفكر والسلوك، ويعبر به حالة التذبذب بين العبادة والعمل وحالة الترف بين العمل للدنيا والعمل للآخرة.

¹ ابن باز، حوار مجلة البحوث الإسلامية حول الغزو الفكري، تاريخ التصفح: 1 أبريل 2022م، الساعة: 16:00

.www.binbaz.org.sa

² عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري أهدافه ووسائله، لا ط، مكة المكرمة، لا ن، د ت، ص 20.

الإسلام وحده الذي حقق التوفيق بين هذه التناقضات وأتاح للإنسان في ظل تعاليمه أن يكون من أعظم العاملين للآخرة ولمرضاة ربه في الوقت الذي يكون فيه غارقاً في شؤون الدنيا حتى أذنيه¹ ... على نحو ما قال سبحانه وتعالى: ﴿ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سور القصص: 77]، وكما قال صلوات الله عليه بما معناه: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»².

الإسلام بهذا هو الدين الأعظم والأكمل الذي فتح أمام الإنسان الطريق الواقعي والممكن لممارسة حالة الارتقاء من هوة الطين إلى عوالم الخير والعدالة والحق.. وهذه الميزات التي اختص بها ديننا الإسلامي العظيم .. هي نفسها التي تؤرق مضاجع هؤلاء الغزاة ... لأنها تكشف باطلهم من ناحية، وتظهرهم أمام شعوبهم وأمام الأمم التي يطمعون في الاستيلاء عليها بمظهرهم العدواني الحقيقي، ومن ثم تهدد مخططاتهم جميعاً بأبلغ تهديد...

فأعداء الإسلام الذين هم في الوقت نفسه أعداء الحق والخير، يريدون عالماً أعمى كأنه عالم من العجاوات يقاد من أذنيه هم يريدون شعوباً تعاملهم معاملة العبيد، فتقبل منهم ما يعطونها وتصبر على كل ما ينزلونه بها من طغيان أو استبداد، ويمدح ليلها ونهارها لكي تنفتح الخزائن في مصارف المرائين.³

هم يريدون شعوباً يكون همّها الأول والأخير أن تجد لقمة الخبز، ولا بأس بعدها أن يساقوا بالملايين إلى ميادين الحروب والهلاك خدمة في النهاية لتجار الدماء... يريد الغزاة كل ذلك، ويعملون له ..

¹ عبد الصبور مرزوق، مرجع سابق، ص 20.

² حديث موضوع لم يثبت عن النبي ﷺ، قال الشيخ الألباني: لا أضل له مرفوعاً، أنه اشتهر على الألسنة في الأزمنة المتأخرة "السلسلة الضعيفة" (8)، وذكره المناوي في: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.

³ عبد الصبور مرزوق، المرجع نفسه، ص 22.

ولقد كان لهؤلاء الأعداء وسائل متنوعة تقوم أولاً وأخيراً على تشويه حقائق الإسلام وإظهار أتباعه في أسوأ صورة، ومن هذه الوسائل:

1/ نشر الأباطيل حول الشريعة الإسلامية:

ومن هذه الأباطيل الزعم بأن القرآن لم ينزل على نبينا ﷺ من عند الله ولكنه افتراه... وهي فرية قديمة نطقت بها أفواه المشركين منذ صدور الدعوة، وردّ عليها القرآن الكريم في أكثر من عشرين ومائة آية من كتاب الله توّزعت بين التقرير الصريح بأن القرآن: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [سورة فصلت: 2] ، ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الواقعة: 80].¹ والهدف من وراء ذلك واضح وهو محاولة صرف أنظار أتباعهم عن التأثير بهذا الدين أو حتى عن مجرد النظر فيه، بدعوى أنّ ما جاء فيه موجود عندهم...

2/ تجسيم مظاهر الضعف في ديار المسلمين وحملها على الإسلام:

ولكي يحول الأعداء بين أتباعهم وبين الاتصال بهذا الدين العظيم والتعرّف على خصائصه، حاولوا بتخطيط واع أن يلصقوا بالإسلام كل الأخطاء والانحرافات التي كان يتورط فيها بعض المسلمين، وكانوا بوسائلهم المختلفة يضعون صورة المجتمع الإسلامي في أسوأ ظروفه السياسية والاجتماعية، يضعونها تحت أعين أتباعهم ويقولون لهم هذا هو الإسلام... ولقد نتج عن هذا أن كانت الصورة الشائعة - وما تزال عند كثير من الغربيين حتى اليوم - أنّ كلمة مسلم تعني التخلف والغيبيّة والعجل وعدم الصلاحية لممارسة أي دور حضاري. وأبسط الأدلة على أنّ هذا التخلف عيب المسلمين وليس عيب الإسلام ما يسجّله التاريخ ولا يستطيع واحد من الأعداء أن ينكره من مقدرة الإسلام الخارقة على صناعة أعظم النماذج البشرية رقياً في تاريخ البشرية كلها على الإطلاق...²

3/ تصوير الإسلام على أنّه دين العنف والدماء:

وهذه الفرية قد استخدمها الأعداء ضد الإسلام مرتين ببحث وذكاء: مرة حين احتاجوا إليها ليخيفوا أتباعهم من الإسلام ويستنفروهم ضده، فصوّروه لهم على أنّه الدين الذي

¹ عبد الصبور مرزوق، مرجع سابق، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 24.

لا يسير إلا بالسيف، والذي يحوّل أتباعه إلى متوحشين وقتلة ... وقد أثمرت هذه الفرية ثمراتها في سجل العدوان الطويل الذي وفد علينا بالحدود والولايات من الغرب، والذي عرف تاريخنا باسم (حرب الصليب).

ومن الغريب أنه بعد أن أخذت الحرب الصليبية أشكالا أخرى في عصرنا الحاضر تختلف عن تلك التي كانت لها في العصور القديمة...¹

والمرّة الثانية التي استغلوا فيها حكاية (الإسلام والسيف) هذه كانت موجّهة إلينا ... إلى المسلمين في قلب ديارهم لكي يتحوّلوا بهم من أهل رسالة عمادها الجهاد إلى أمة حسبها من الغنيمة إلا أن لو استطاعت أن تظفر به...²

ثانيا: ضرب الإسلام من الداخل

إنّ ما سبقت الإشارة إليه من تخطيط الغزاة لا يمثل إلا الجانب السلبي في الموقف وهو الذي يحقّق أخيرا شل فاعلية هذا الدين وعزله وتحريم إقامته داخل دياره.

أمّا الجانب الأكبر في الموضوع فهو التحرك الإيجابي لضرب هذا الدين داخل حدوده وتقويض نفوذه والإيمان به بين أتباعه، وهو يشبه في العمل العسكري تصفية قوات العدو بعد فرض الحصار عليها...

وهذا الضرب من الداخل، وما نسميه نحن الغزو الفكري وإن كان لا يعتمد على المواجهة العنيفة ولا يستخدم القوة المباشرة كما في حالة الغزو العسكري، لكنّه مع هذا أعظم خطرا وأجدى على الغزاة من نواح كثيرة:

1. أنّه يفقد المطبوع فيهم - والمعرضين للغزو فعلا - حالة الانتباه إليه والاستعداد له وربما

لا يمكنهم إدراك وقوعهم في قبضة الغزاة إل بعد فوات الأوان في أحيان كثيرة.

2. أنّ الغزو الفكري يسير المؤونة نسبيا بينما نتائجه وآثاره ابعلا مدى من نتائج غزو

عسكري، لأنّ الغزو العسكري تنتهي آثاره بانسحاب قوات الاحتلال ... أما الغزو

الفكري فيستعمر الرؤوس والقلوب، ويبقى مع الناس ما بقيت لهم حياة...³

¹ عبد الصبور مرزوق، مرجع سابق، ص 26.

² المرجع نفسه، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص 38.

3. أنّ وسائل الغزو العسكري بشعة ومنقّرة قوامها الدم والتضحيات، وكانت النقطة في التخطيط المعادي نقطة التركيز على حكاية السيف والإسلام من أهم ما جرى الاهتمام به عندهم، لأنّ غايتها هي إبطال العمل بفريضة الجهاد في الإسلام، وهي العماد الأساسي الذي لا يمكن للمسلمين أن يمارسوا دورهم في الحياة بدونه ...
- ولقلا نجحت - إلى حد ما - حملة الأعداء وتركيزهم على حكاية انتشار الإسلام بالسيف، حتى كوّنت بين بعض المسلمين من ظنّ أنّ الجهاد في الإسلام أمر يحتاج إلى تبرير فانتشر القول بأنّ الجهاد في الإسلام لم يكن إلا للدفاع، وهذا أول ثمرة جناها الغزاة من حملتهم المركزة على الإسلام في هذه الناحية، لأنّ الجهاد يمكن أن يكون دفاعا، ويمكن أن يتمّ ابتداء لنشر دين الله والتخلية الصحيحة بين الخلق وعبادة الخالق...
- وكان أبرز نموذج لهذا اللون ما ظهر على يد (الميرزا غلام أحمد) داعية النحلة الكافرة المسماة بالقاديانية، وفي هذا يقول هو نفسه: "لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ومؤازرتها"، "وقد ألّفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليزي من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلى بعض ملأ خمسين خزانة، وقد نشرت هذه الكتب جميعا في البلاد الغربية ومصر والشام وكابل".¹
- والخراب بينما وسائل غزو الفكر خادعة ومحفوظة بالشهوات كالطريق إلى جهنم، ولذا فالاستجابة إليها اسرع وأكثر.²
4. غزاة الفكر لا يظهرون - غالبا - على مسرح العمليات وإّما يختفون وراء شخوص من أبناء البلاد المغزوة، ويعملون من خلالها في وضع النهار وتحت سمع القانون وبصره، بل وفي ظل الحماية والتمكين اللازمين.
5. أنّه بالتسلّل أيضا يمكن أن يجد له عملاء وأنصار لا يستنكفون من التعاون معه إما بالانخداع حيناً أو الاطمئنان إلى السلامة من تهمة الخيانة حيناً آخر...

¹ عبد الصبور مرزوق، مرجع سابق، ص 27.

² المرجع نفسه، ص 38.

6. إنّ تطوّر الوسائل المدنية الحديثة وما اتفقت عنه العبقريات الشريرة من مستحدثات من مختلف النواحي، جعل وسائل هذا الغزو الفكري لا تقتصر على أسلوب بعينه بحيث يمكن رصد ومقاومته، لكنها من أيها يبدأ...
وكل هذه الاعتبارات جعلت الغزو الفكري عن طريق التسلسل من الداخل أسلوباً تجري ممارسته منذ القرن الخامس عشر الميلادي.¹

المطلب السادس: أساليب الغزو الفكري

اتبع الغريون أساليب عدة ووسائل مختلفة في غزوهم للفكر الإسلامي منها ما هو ظاهر وآخر باطن من أجل إبعاد المسلمين عن دينهم وطمس هويتهم الإسلامية وزعزعة التراث الإسلامي وضياعه ومن أهم أساليبه نذكر ما يلي:

1. محاربتهم للعقيدة الإسلامية وما شهدته من أوصاف تلصق بالإسلام كونه عدائياً إرهابياً، لا يواكب التقدّم ما هو إلا حلقة من حلقات تشويههم ومحاربتهم للإسلام والمسلمين.
2. إشاعة الفاحشة بين المسلمين من خلال إثارة غرائزه وتشجيعه الإباحية من خلال المجالات والكتب والمنتديات.
3. المخدرات استعمله الغرب لتحطيم العقلية المسلمة وجعلها في سبات دائم.
4. الدعوة إلى جمعية المرأة ومساواتها مع الرجل.²
5. إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين وصرف الأموال الكثيرة عليها وتزيينها وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن وفي أكبر الميادين.³

¹ عبد الصبور مرزوق، مرجع سابق، ص 39.

² الغزو الفكري وأثره على العالم الإسلامي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 38، 8 شعبان 1435 هـ، 5 حزيران 2014 م.

³ بن باز، الغزو الفكري ووسائله، مرجع سابق، ص 119.

6. رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم وتربيتهم حتى إذا ما تشربوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلادهم، وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشؤون المؤسسات.¹

7. تنظيم القوى الكافرة والغازية والاهتمام بمراكز القوة حتى يستمر تيار الغزو الفكري في احتياجه لا بدّ من الأخذ بالأسباب التي تبقى عليه وتضمن له النمو والازدهار وذلك باحتلال مراكز القوة كالجيش والحرص على أن لا تتسرب إليه روح مؤمنة والسهر الدائم على أن يكون حارساً.²

المطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الغزو الفكري

الفرع الأول: الجانب الاجتماعي

" وبذلك يفقد مركب النقص لديه فاعليته الاجتماعية، إذ ينتهي من الوجهة النفسية إلى التشاؤم، كما ينتهي من الوجهة الاجتماعية إلى ما أطلقنا عليه (التكديس)، فلكي يصبح مركب النقص لديه فعالاً مؤثراً ينبغي أن يردّ المسلم تحلّفه إلى مستوى الأفكار لا إلى مستوى (الأشياء)، فإنّ تطوّر العالم الجديد دائماً يتركز اعتماده على المقاييس الفكرية".³

يرى المفكر مالك بن نبي أنّه ما يحيط بالمسلم من تشاؤم وإحباط في نفسه المؤثر على الوجهة الاجتماعية الراجع إلى التأخر الفكري، لأنّ العالم المتقدم كان يسعى في القرن التاسع عشر إلى التنمية والتطوّر، فقد كان يستهين به ولم يقدر أهميته ما رسّخ لديه فكرة رجعية بأنّ التطوّر الحقيقي هو ما يحقّقه الإنتاج المادي فقط، ومع وصول القرن العشرين تغيّرت المعادلة من تطوّر الأشياء إلى تطوّر الأفكار، فبقي المسلم واقفا عاجزاً أمام الفكرة الرجعية التي⁴

¹ بن باز، الغزو الفكري ووسائله، مرجع سابق، ص 117.

² ممدوح فخري، الغزو الفكري، ج 1، ط 1، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 1389 هـ، ص 29.

³ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط 4، دمشق، دار الفكر، 1420 هـ / 2000م، ص 15.

⁴ بتصرف.

اكتسبها، فسيطر الكسل والخمول عليه باتت تجعله يقدر فقط ما يكتسيه أو يدخره من ثروة أو ذهب التي يبقى رهينة لها مقابل اكتساب فكره ودينه وعقله.

الفرع الثاني: الجانب الاقتصادي

"ففي المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي الذي انعقد في موسكو أراد خروتشوف أن يفحم خصومه فقال: "إنّ النجاح الاقتصادي هو أقوم مقياس لسلامة الأفكار"، فها نحن أولاً نرى فاعلية الأفكار في إطار اقتصادي قومي، أي عندما تكون الأفكار سليمة يصبح الاقتصاد ناجحاً".¹

لقد بيّن مفكرنا العظيم مالك بن نبي من خلال مؤلفاته أنّ سلامة الأفكار هي التي تصنع النجاح الاقتصادي والحضاري، فكلما كانت الأفكار ذات عبرة وفاعلية فالنجاح والتطور حينها حتماً يكون مبهر ومفيد.²

الفرع الثالث: الجانب الدولي

"... وخلاصة ما ذهب إليه، أنّ هناك توازناً في القوى بين كلا الجانبين، وهذا التوازن يضطر كليهما إلى الكفّ عن الاعتماد بالأسلحة، وأن يكون اعتمادهما بالأفكار، ففي البلاد المتخلفة التي مازالت حتى الآن ضمن مناطق النفوذ، لم يعد السلاح أو عائدات البترول بكافيين في تدعيم هذا النفوذ، وإنما هي الأفكار وحدها".³

لقد سبق وذكر المفكر مالك بن نبي أنّ توازن القوى بين المعسكر الغربي والحزب الشيوعي في استخدام الأسلحة وتطويرها ثمّ اكتساح الفضاء الخارجي بالأقمار الصناعية والصواريخ، ومع هذه القوة المذهلة كفى كليهما عليها، ليتخذ نحو آخر من الغزو والاستعمار عبر الأفكار والثقافات، لأنّ السلاح وعائدات البترول أصبحت لا تجدي نفعا لتوسيع النفوذ بل الأفكار وحدها التي تأخذ نحو القمم، فالبلاد المتخلفة ليومنا هذا لم توجّه اهتمامها لحل

¹ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 15.

² بتصرف.

³ مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص 15..

مشكلة الأفكار وخاصة الدول التي لم تمتلك أدوات القوة المادية، ومن الواجب على الأمم العربية والإسلامية أن تولي أكبر قدر من اهتمامها لمشكلة الأفكار.¹

الفرع الرابع: الجانب الحضري

"أما ما هو جدير بالملاحظة في تجربة المجتمع الإسلامي المعاصر، فهو أنه لم يستطيع أن يستمدّ دفعة الإقلاع الحضاري من العالم الثقافي للصفوة من أبنائه الذين نالوا تعليمهم في الجامعات الغربية، كما يستلهم روح الحضارة من الإيديولوجيات العملية التي طوبت ثورية في البلاد العربية بإعطائها تلك الشعلة التي ألهبت روح الجماهير".²

من خلال ما ذهب إليه المفكر مالك بن نبي نلتمس موضع الإشكال في النهضة نحو حضارة أفضل مما عليه اليوم، لكن محاولة النهوض والاسترجاع باءت بالفشل الذريع لأنّ أبناء المجتمع الثقافي الإسلامي مصدر علمهم مستمد من الجامعات الغربية التي تجعلهم حكرا لغيرهم، هذا ما أطفئ شعلة الحماس للتغيير نحو التميّز، هذا يتوجّب إحياء الطاقة والحيوية لاستحداث الأفكار الدافعة من الإيديولوجيات العلمية التي بها تقوم الحضارة.³

¹ بتصرف.

² مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط1، دمشق، دار الفكر، 1423 هـ/ 2002 م، ص 47.

³ بتصرف.

الخاتمة

- وفي ختام هذه الرسالة أشير إلى أهمّ النتائج المتوصّل إليها:
1. يعتبر مالك بن نبي رحمه الله من أعلام النهضة الإسلامية ومفكرها أتاح له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة، وعلم الغرب وفكرهم المستمد من التراث اليوناني والروماني.
 2. نشأ مالك بن نبي في جو إسلامي محافظ زرع فيه بذور الإيمان والالتزام، لأنه افتتح علومه بدراسة القرآن الكريم ثم نال الشهاداتين الابتدائية والثانوية.
 3. صبّ اهتمامه على العلم بعدما رأى فيه نفضة تلغي المسافات الجغرافية والفكرية بين المجتمعات.
 4. تعتبر الظروف الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التي تزامنت معه هي التي شكّلت فكره وهو يعترف بهذه الحقيقة إذ يقول: "وهكذا إذ استفدت بامتياز لأنني ولدت في تلك الفترة".
 5. قسّم مالك بن نبي الاستشراق إلى طبقتين إحداهما قديمة من أمثال: جرير دوريباك والثانية طبقة المحدثين من أمثال: جولد زيهر.
 6. يرى مالك بن نبي أنّ الاستشراق في بدايته درس الفكر الإسلامي، ولقد اعترف المعتدلون بفضل الشعوب الإسلامية، وبمساهمتها في تكوين الرصيد الحضاري الإنساني من خلال مجهودات العلماء المسلمين.
 7. يرى مالك بن نبي أنّه لا يجوز نكران إنتاج المستشرقين من ناحية قيمته العلمية بل إنّ يراه أحياناً يستحق التقدير من ناحية طابعه العلمي أو من الناحية الأخلاقية واعترافهم بفضل الإسلام على الغرب، بحيث لا يمكن نكرانه، كشهادة نزيهة.
 8. الغزو الفكري داء عضال يفكّك الأمم ليذهب دينها وعقيدتها.
 9. يعتبر تداول مصطلح الغزو الفكري حديث، لكن لم يقتصر كظهوره مصطلح بل هو منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الحروب الصليبية ثم الاستشراق والتبشير.

10. أخذ الغزو الفكري عدّة مظاهر في تشويه الإسلام وتشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم.
11. إدراك الغرب أنّ تحقيق غايتهم إلا بتنوّع أساليب الغزو الفكري، مثل الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة ونشر الفاحشة بين المسلمين.
12. يبقى الهدف المقدّس للغزو الفكري هو الوقف من انتشار الإسلام حول العالم.
13. يرى مالك بن نبي أنّ مركب النقص لدى المسلم على مستوى الأفكار لا على مستوى الأشياء.
14. فسّر مالك بن نبي التأخّر الفكري للعالم الإسلامي بسبب الفكرة الرجعية له في التنمية أنّها فقط عسكريا لا فكريا وعلميا.
15. يرى المفكّر مالك بن نبي أنّ النجاح الاقتصادي هو مقياس لسلامة الأفكار.

التوصيات:

1. الحثّ لكل الطلبة الخوض والاهتمام بموضوعات وأفكار مالك بن نبي من أجل إثراء المكتبة الإسلامية.
2. الأخذ بتوجيهات مالك بن نبي حول دراسة العلم والثقافة الغربية.
3. إثراء الثقافة الذاتية بالاطلاع على فكر مالك بن نبي.
4. إعطاء المفكّر مالك بن نبي حقه من الدراسة والتقدير.
5. السير على الدروب التي سعى مالك بن نبي أن يحقّقها لحل مشكلة الأفكار والمادية.
6. حاجة فكر مالك بن نبي إلى تنزيل في الواقع.
7. محاولة الاستفادة من آثار ومؤلفات مالك بن نبي ونشرها لاستعادة النهضة الإسلامية وظهورها عند الأجيال العربية والإسلامية.

آفاق الدراسة:

من خلال دراستنا نوّفر فتح آفاق الدراسة للمهتمين وذلك باقتراح بعض مواضيع للبحث قد تمثل إشكاليات لمواضيع بحث في المستقبل ومنها:

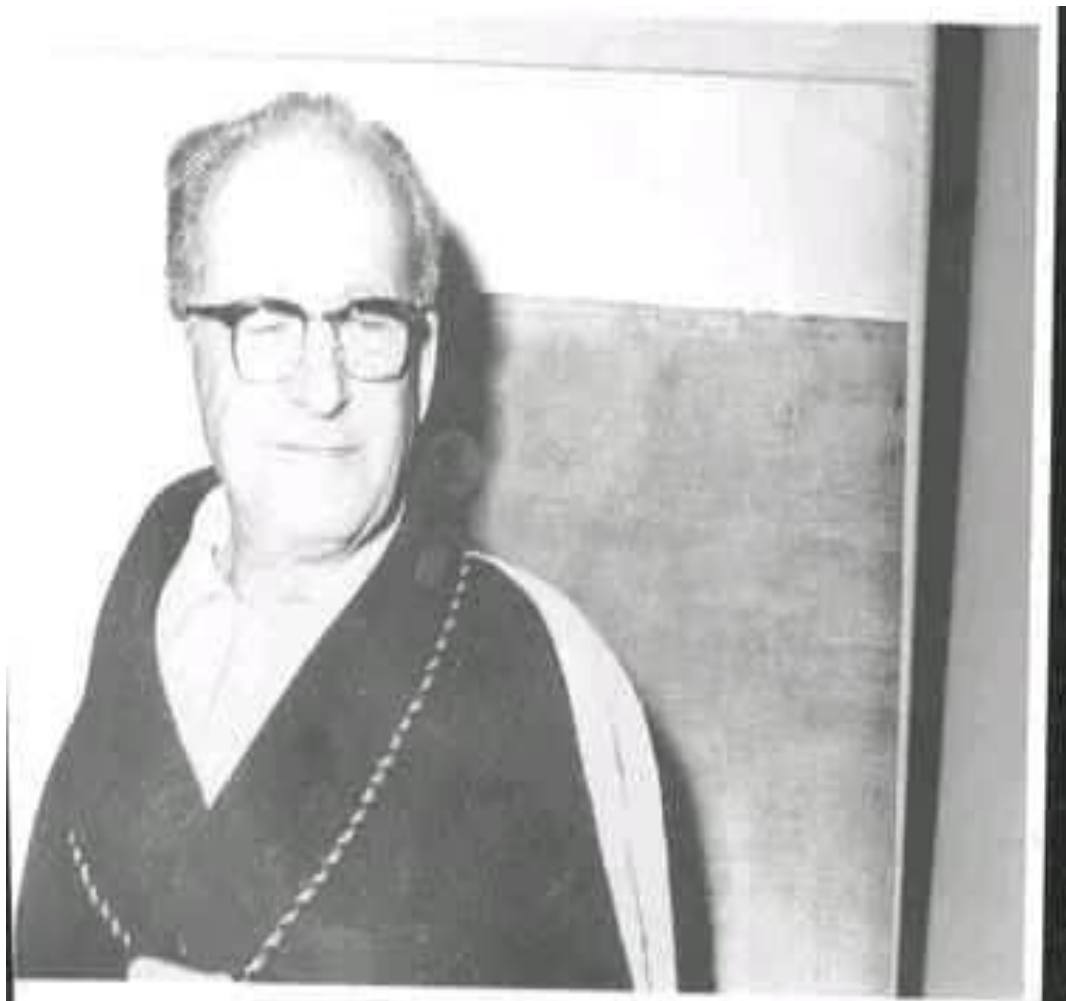
1. آفاق التنمية في العالم الاسلامي والعربي في فكر مالك بن نبي.
2. آفاق الوحدة والتطور وما يراه مالك بن نبي من مقترحات فكرية أو ثقافية للنهوض بالعالم الإسلامي.
3. قابلية الاستعمار والغزو الفكري عند مالك بن نبي.
4. فاعلية أفكار العالم الاسلامي عند مالك بن نبي.

الملاحق

الملحق (1): المفكر مالك بن نبي



الملحق (2): مالك بن نبى يدرس



الملحق (3): مالك بن نبي يرشد ويعظ الناس



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
32	5	الأنبياء	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾
32	5-4	الفرقان	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾
32	24	المدثر	﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾
32	75	البقرة	أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَلَّ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْلَا مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿
33	72	آل عمران	﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾
56	103	آل عمران	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
63	19	آل عمران	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
63	138	البقرة	﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾
63	13	الحجرات	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
64	77	القصص	﴿ ابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾
65	2	فصلت	﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
65	80	الواقعة	﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث
64	«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ...»

فهرس المصادر والمراجع

• المصادر:

القرآن الكريم

• الكتب

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، لا ط، لا م، دار الدعوة، د ت.
2. أبو القاسم سعد الله، ج 7 تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998.
3. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، حمودي أبو العباس، ج 2، لا ط، بيروت، المكتبة العلمية د ت.
4. أحلام مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، جزء 4، ط 1، عالم الكتب 1429 هـ / 2008 م
5. إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط (1،2،3)، لا م 1419 هـ / 1998 م، 1419 هـ / 1999 م، 1420 هـ / 2000 م.
6. بن باز، الغزو الفكري ووسائله، ج 1، ط 15، المدينة المنورة، مجلة الجامعة الإسلامية 1403 هـ.
7. بن باز، حوار مجلة البحوث الإسلامية حول الغزو الفكري، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 8.
8. بن باز، مجموع فتاوى وحلقات متنوعة، ج 3، ط 1، الرياض، دار القاسم، 1420 هـ.
9. بوعزة صالح، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية وحدة بحث "تنمية الموارد البشرية"، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2.
10. حمود الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، ج 1، ط 35، المدينة المنورة الجامعة الإسلامية، 1424 هـ، ص 350.
11. الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم فمن الغزو الفكري، ج 1، ط 35، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 1424 هـ.
12. سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
13. سعود بن عبد العزيز الخلف، دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي ﷺ، ج 1 لا ط، فراس للنشر والتوزيع.

14. الطاهر سعود، التخلّف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1، بغداد، دار الهادي، (1427هـ/2006م).
15. عبد الرحمان بن عبد العزيز الجفن، الاستشراق النشأة والدوافع، لا ط، لا م، لا ن، د ت.
16. عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري وأهدافه ووسائله، لا ط، مكة، لا ن، د ت.
17. عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ط1، لا م، لا د، (1417هـ/1997م).
18. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، لا ط، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة 1401 هـ/1981 م.
19. الغزو الفكري وأثره على العالم الإسلامي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 38، 8 شعبان 1435 هـ، 5 حزيران 2014 م.
20. فالح بن محمد فالح الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، ج1، لا ط، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
21. فوزية برون، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ط1، دمشق، دار الفكر 1431 هـ/2010 م.
22. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج4، ط3، مصر، لا ن، 1402 هـ.
23. الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، د4، بيروت، المكتبة العلمية.
24. لخضر شايب، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، لا ط، لا م، لا ن، د ت.
25. مازن مطباقي، الاستشراق، لا ط، لا م، لا ن، د ت.
26. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ط4، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر 1987م.
27. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط1، دمشق، دار الفكر، 1991.
28. مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، بيروت، 1388 هـ/1969م.
29. مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، لبيك حج الفقراء، ط1، دمشق، دار الفكر 1430هـ/2009م.
30. مالك بن نبي، مجالس دمشق، ط1، دار الفكر، 2005م.
31. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط1، دمشق، دار الفكر، القسم الأول (1969 م) القسم الثاني (1970 م).
32. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط1، دمشق، دار الفكر، 1988 م.

33. مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، ط3، الجزائر، دار الفكر، 1406 هـ / 1986 م.
34. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط4، دمشق، دار الفكر، 1420 هـ / 2000 م.
35. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ط1، دمشق، دار الفكر، 1986.
36. مجموعة من كتاب مجلة البيان، ج14، 1409 هـ.
37. محمد العبد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاح (1323-1393 هـ / 1905-1873 م)، ط1، دمشق، دار القلم، (1427 هـ / 2007 م).
38. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، الرياض، 1396 هـ.
39. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، لا ط، لا م، دار الهداية.
40. محمد فتح الله الزياي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ط1، لا م، دار قتيبة (1426 هـ / 1998 م)
41. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، لا ط، القاهرة، دار المعارف د ت.
42. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ج1، لا ط، لا م، دار الوراق للنشر والتوزيع، د ت.
43. ممدوح فخرين الغزو الفكري، ج1، ط1، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 1389 هـ.
44. ندوة مالك بن نبي، شروط النهضة، لا ط، دمشق، دار الفكر، د ت.
- مواقع إلكترونية:
45. محمد جبر الألفي، وسائل الاستشراق، www.alukah.net.
46. محمد مروان، أسباب الغزو الفكري، www.mawdoo3.com.
47. محمود محمد شاكر، العلامة محمود محمد شاكر يتحدث عن المفكر مالك بن نبي www.shamela-dz.net.
48. لا ك، مفهوم الغزو الفكري ونشأته، www.qalamedu.org.
49. ميلاد زكي، مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي النظرية والمنهج والتطور www.ben_nabiblogspot.com.
50. نور الدين بوكروح، مالك بن نبي 15 وفاته، www.Aljazairlyoum.dz.
51. ياسر تاج الدين حامد، من المستشرقين المنصفين والمهتدين، www.alukah.net.

52. كتاب سطور، أسباب الغزو الفكري، www.sotor.com.
53. عمار طالب، يتحدث عن صداقة مع مالك بن نبي، www.darrfkr.com.
54. عبد القادر بنقدور، حياة مالك بن نبي: نسبه ومولده ونشأته ووفاته www.islamnar.com.
55. الثاقب، مالك بن نبي، www.ahlamontada.com.
56. إحسان العقلة، بحث عن مالك بن نبي، www.mawdoe3.com.
57. (لا ك)، تاريخ وأهداف الغزو الفكري والتغريب، www.ar.islamway.net.

• الرسائل والبحوث الجامعية:

58. إبراهيم عبو ، الاستشراق، رسالة ماستر في تاريخ الدولة العثمانية (1453 هـ / 1924م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2020 / 2019.
59. إيمان بلميمون ، مالك بن نبي أديبا، رسالة ماستر في اللّغة والأدب العربي، أدب عربي، آداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2017/2016.
60. حسن موسى محمد العقبي، مالك بين نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، قدمت هذه الرسالة كمطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، أصول الدين الجامعة الإسلامية، غزة، 1426هـ / 2005م.
61. الرمساء بوزياني ، مفهوم الإنسان في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، رسالة ماستر، فلسفة عامة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019/2018.
62. فضيلة برقوق ، الاستعمار والثورة في فكر مالك بن نبي، رسالة ماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة 2016/2015م.
63. فضيلة برقوق، إشكالية التغيير عند مالك بن نبي، رسالة ماستر في تاريخ الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016/2015.
64. فضيلة فرج ، الاستعمار والثورة في فكر مالك بن نبي، رسالة ماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي 2019/2018.
65. هجيرة حمايدية، موقف مالك بن نبي من الاستشراق، رسالة ماستر في قسم اللغة العربية وآدابها كلية الأدب والفنون جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016/2015.

66. ياسين عطوي، المفكر مالك بن نبي حياه وأعماله 1973/1905م، رسالة ماستر في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (1436-1437 هـ / 2015-2016 م).

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
	إهداء
	شكر وتقدير
	ملخص الدراسة
ز	مقدمة
ح	أولا: إشكالية الدراسة
ح	ثانيا: منهج الدراسة
ح	ثالثا: أهداف الدراسة
ط	رابعا: أهمية الدراسة
ط	خامسا: مبررات اختيار الموضوع
ط	سادسا: الدراسات السابقة
ي	سابعا: الخطوات الإجرائية
ك	ثامنا: صعوبات البحث
المبحث الأول: السيرة الذاتية لمالك بن نبي	
2	المطلب الأول: اسمه مولده ونشأته
5	المطلب الثاني: التكوين الفكري لمالك بن نبي
10	المطلب الثالث: رحلاته ومناقشاته
18	المطلب الرابع: أعماله ومؤلفاته
22	المطلب الخامس: وفاته
23	المطلب السادس: مالك بن نبي في عيون غيره
المبحث الثاني: مالك بن نبي والاستشراق	
30	المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا
32	المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق وتطوره
34	المطلب الثالث: دوافع الاستشراق
39	المطلب الرابع: أهداف الاستشراق ووسائله
43	المطلب الخامس: أصناف المستشرقين
46	المطلب السادس: الاستشراق عند مالك بن نبي ومجالاته
50	المطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الاستشراق

المبحث الثالث: مالك بن نبي والغزو الفكري	
54	المطلب الأول: تعريف الغزو الفكري وأهمية دراسته
57	المطلب الثاني: نشأة الغزو الفكري
58	المطلب الثالث: أسباب الغزو الفكري
60	المطلب الرابع: مظاهر الغزو الفكري
61	المطلب الخامس: أنواع الغزو الفكري وأهدافه
68	المطلب السادس: أساليب الغزو الفكري
69	المطلب السابع: موقف مالك بن نبي من الغزو الفكري
73	الخاتمة
	الملاحق
الفهارس	
	فهرس الآيات القرآنية
	فهرس الأحاديث النبوية
	فهرس المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات

